آفاق نجفية

مجلة فصلية مصورة تعنى بالدراسات والبحوث الدينية والمعاصرة

المتخصصة بشؤون النجف الأشرف

١

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

ملف العدد:

الشيخ محمد رضا الشبيبي

شارك فيه:

- الشيخ محمد رضا الشبيبي، حياته وشعره. أ.د. علي جواد الطاهر.
- شاعرية الشيخ محمد رضا الشبيبي. أ.د. عناد غزوان.
- الشبيبي الشاعر. أ. مرتضى فرج الله.
- الشيخ محمد رضا الشبيبي، والمؤسسات الثقافية. أ.د. قصي سالم علوان.
- أبي، كما رأيته أبنته: أ. أروى محمد رضا الشبيبي.
- مع الشبيبي في رحلته الى الحجاز. أ. كامل سلمان الجبوري.

من بحوث الشبيبي:

- كتاب النجف.
- شذرات من تأريخ النجف.
- النجف وطبقات شعرائها.

الشيخ محمد رضا الشبيبي

الشيخ محمد رضا الشبيبي

حياته وشعره

الاستاذ الدكتور: علي جواد الطاهر*

■١■

الشبيبي، الشيخ محمد رضا الشبيبي ـ ان لزم التحديد؛ ويلزم احياناً لأن هناك أكثر من شبيبي، أو قل إن هناك أسرة جلّ ابنائها شعراء، هم آل الشبيبي، فهم الشيخ جواد بن محمد بن شبيب...، ومنهم أبناؤه: محمد رضا، ومحمد باقر، ومحمد حسين، وكلهم مجيدون؛ ولا يلزم التحديد، لأنه ـ أي محمد رضا موضوع حديثنا ـ أشهرهم اليوم في العراق، وفي خارج العراق.

أمّا أنه معروف في العراق فتلك بديهية، وانه لمرفوع المكانة، جليل المنزلة، ذائع الصيت. واما أنه معروف خارج العراق، في شتى الاقطار العربية وفي غير قليل من الاقطار الإسلامية، فبديهة أخرى؛ ولكنها بديهة تحتاج إلى شيء من توضيح، لان مكانته فيها تكاد تقتصر على الخاصة، وانها تزيد أو تقل في مدد متفاوتة، ولدى ظروف مختلفة.

تعرفه لبنان.

وتعرفه سوريا.

وتعرفه مصر.

قال العقاد ـ وهو يقدمه يوم انتخب عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية ـ :

---

* ناقد، باحث، محقق، من اساتذة جامعة بغداد (تهـ١٤١٧).

ألقي البحث في الموسم الثقافي لجامعة الرياض ١٩٦٨.

عن: مجلة الرابطة النجفية س٢ ع٣ لسنة ١٩٧٥م، ص ١٥ـ ٤٥.

الشيخ محمد رضا الشبيبي

«ان الشبيبي يدخل هذا المجمع من أكثر من باب واحد. لانه شاعر ناقد، باحث لغوي، ناشر للعلم واللغة، معني بآثار اللغة العربية قديمها وحديثها. وهو شاعر فصيح اللفظ، ناصع المعنى، سليم العبارة»....

وقال الزيات في الحفلة التي أقامها المجمع لمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته:

(لم يحضر دورة من الدورات إلاّ مُزوّداً بطائفة من البحوث القيّمة، والملاحظات الصائبة، والاقتراحات السديدة. كان يلقيها علينا في تواضعٍ فيه عزّة، وتؤدةٍ فيها ثروة، وثقةٍ فيها يقين، جاء من سعَةِ علمه، وصحّة تثبته... ذلك إلى سموٍ في خلقه، ونبل في هواه...).

وكان صحف الأقطار العربية تتسابق إلى نشر شعره، وكثيراً ما نشر القصيدة الواحدة أكثرُ من قطر واحد، إعجاباً وتقديراً، ووجداناً بها ما يعرب عما يخالجه على أحسنِ وجه، وأكرم قصد.

وكانت المؤتمرات العلمية والادبية، تتسابق كذلك إلى دعوته والحظوة باستجابته.

أما إذا قصدت الوفود ببغداد، فلابد من أن يكون بين مواد برامجها أو برامج العلية من أعضائها: زيارة الشبيبي. وكانت هذه الزيارة من برامج كثير من السفراء. قال الاستاذ عبد الهادي التازي:

(... عندما حللت... سفيراً للمملكة المغربية، كان عليّ أن أزور الشيخ في بيته... وكان بيته مزارة للناس... جلست إلى الشيخ بعباءته السوداء، وقد وضع عمامته جانباً، وأخذ يتحدث عن العراق، والشيخ الشبيبي أجدر من يتحدث عن بلاد العراق... فانه يتحدث اليك حديث بصير خبير...).

ومثل حديث المغربي حديث الآخرين، ومثل حديث المصريين حديث غير المصريين...

ولا أكاد أشك في أن في أهل هذه البلاد من يعرفه أكثر مما أظن.

■ ٢ ■

والشبيبي ـ كما لاحظنا من هذا ـ متعددُ الجوانب، متنوعُ النشاط. هو شاعر، وهو اشياء أخرى لا يقل فيها شأناً عنه شاعراً. هو رجل وطنية وقومية صحيحة، ورجل سياسة وادارة حكيمة، ورجل علم وأدب وتأليف، ورجل مجتمع وفضل وخلق.

وليس من وكدنا هنا دراسة هذه الجوانب، وليس من مقدورنا، وإنما قصرنا الهم على صفحات من جانب واحد هو الشعر.

■ ٣ ■

ولد محمد رضا بالنجف

في السادس من رمضان من عام ستةٍ وثلاثِ مئةٍ وألف للهجرة ١٣٠٦ الموافق للسادس من أيار من عام تسعةٍ وثمانين وتسع مئةٍ وألف للميلاد ١٨٨٩ في بيت دين ومجتمع وأدب وشعر، وكان الشيخ جواد الوالد ذا مكانة عالية في قومه، له مجلسه الذي يمكن أن يكون وحده مدرسة جليلة، فضلاً عن علمه وأدبه وشعره.

وفي بيئة دين وأدب، كأن الشعر فيها أمر لابد منه في الحياة اليومية. ويتألق فيها منه اسم الحبوبي وحيدر والتميمي، ويعيش فحول شعراء العرب كأنهم أحياء لحماً ودماً نلتقي منهم بالمتنبي والبحتري وأبي تمام... وأبي فراس... ومهيار... أما الشريف الرضي فله جلال أيّ جلال، وبه إعجاب أيّ اعجاب.

ونفذ هذا وذاك إلى نفس الصبي الناشيء، وأصبح جزءاً لا يتجزأ منها، ولم يكن له بدّ من قول الشعر. فقال.

بدأ مبكراً، منذ الخامسة عشرة، وأنشد ما نظم رفاقه وأطلع عليه الاقربين، مادحاً أو مهنئاً: راثياً أو واصفاً أو متغزلاً؛ موشحاً أو مخمساً أو مشطراً... على ما رأى آباءه عليه سائرين.

وقد يكون الرثاء أجود ما قال في هذه المرحلة ـ إن كان له فيها شعر جيّد، وقد يرد ذلك إلى انسجام هذا الغرض ومزاجه الذي تبدو في مكوناته خيوط من الحزن.

كان ذلك في أواخر العهد العثماني.

وقد بدأت الدنيا تتغير.

ولم يكن بيت الشاعر راكداً ركود غيره، ولم يكن عميده جامداً جمود من سواه.

ولابد من أن يكون لدى الفتى نفسه استعداد لفهم التغير وبذور تُعِد للتمرّد...

وهو إذ درس كما يدرس طلبة العلم من أقرانه مال بخاصة إلى المنطق والفلسفة؛ وإذ سدّ اولئك الطريق إزاء الثقافة العصرية فتح هو ذراعيه مستقبلاً ما يرد من مصر والشام من كتبٍ ومجلات بما في ذلك المقتطف.

تلقف هذه الثقافة فرحاً مستأنساً، مستفيداً منتفعاً. وقد يناقش شيئاً منها ويعارض شيئاً آخر، إلا انه كان بها حفيّاً، وبنهجها رضيّاً.

ولا غرابة ـ بعد هذا ـ إذ أنكر شعر قومه وأنكر كثيراً من شعره الذي قاله في مرحلته الأولى.

لقد تغيّر المنظار وتبدل الميزان.

كان الشاعر نظاماً (يبيع ويشتري) بالشعر، يزاوله أنى شاء، وحيثما شاء، لا يعرف صعوبة في الأمر، ولا يرد طالباً. وقد خاض الفتى فيما خاض فيه الآخرون. أمّا اليوم فلم يعد (ينظمُ باقتراح)، وإذا طلب إليه أديب يوماً (أن يعارض قصيدة ياليل الصب) قال له: (أنا لا أعرف أمراً يقال له الطلب إلى الشاعر أن ينظم كيت وكيت. والشعر شعور تجيش به النفس ويصدر عن القلب).

كان الشاعر يدور في قوقعة، يتخذ من شعره مزجاة للوقت، أو وسيلة للرزق، وقلما خرج عن ذلك، وقلما سمع بما يجري في العالم.

أما الآن فقد أصبح من واجب الشاعر أن يسمع بما يجري في كل مكان، وأن ينظر في واقع بلاده وواقع أمّته فيعمل على تقويض أركان الشر، ويجدّ في إقامة أعمدة الخير.

أو ـ كما قال الشبيبي نفسه مرةً ـ: (قد امتاز العصر المذكور بكونه عصر اليَقظةِ في الفكر والشعور... وحاول الادب أن يمثل الحياة...في مختلف صورها الضاحكة والباكية، وشتى مظاهرها المشرقة والدّاجية).

وكما قال مرة أخرى: «وميزة أخرى خطيرة لهذه المرحلة التاريخية، هي هذا الوعي القومي، وتلك اليقظة الشعبية العامة... وكان النابهون من شعراء هذه الفترة الطويلةِ وأدبائها أكثر تلك الطبقات وعياً؛ وأعمقها شعوراً بما تعانيه تلك الشعوب من آلام، أو ما يعتلج في صدور أبنائها من آمال... وقد سجّلوا في قصائدهم كوائن الفترة، وأحداثها الجسام، على اختلاف أشكالها من سياسية واجتماعية، وغير ذلك.

ومجمل القول ـ والكلام للشبيبي نفسه ـ : بعد أن كان الأدب في القرون الأخيرة ضرباً من التّصنع والمبالغات والاخيلة الباطلة، أصبح في الفترة المذكورة فنّاً له رسالة سامية).

■ ٤ ■

كان ذلك أكبر مظهر للتغيّر مما يتصل بوجدان الفتى الشبيبي ووجوده، وقد هزّه هزّاً، ودعاه إلى الواجب، فلبّى. ولعله وجد فيه ضالةً كان ينشدُها، وخلاصاً من أزمات كان يعانيها.

انه الآن عضو نافع في المجتمع. يخدم وطنه وأمّته، بعمله وقوله. وان له لرسالة.

... فيا شعراءنا انتقلت إليكمْ مراقبةُ العوائدُ والطباع
مراقبة هدايةُ غير هاد تقوم بها، ويقظةُ غيرِ واعي

ويقول: كنا في رهط من الشباب العراقيين وغيرهم نفكّرُ تارةً في رسم أهدافنا، وطوراً في الوسائل التي توصلنا إليها. ولم نكن نستهدفُ ـ في الواقع ـ إلا الحياة في ظلّ نظامٍ تُحترمُ فيه الحقوقُ والحريات، وتفلح في كَنَفِهِ المساعي ويتيسّر النهوض بالبلاد....

حدد الشبيبي مفهوم الرسالة، ومضى يعمل ويقول، في ضوء هذا المفهوم.

■ ٥ ■

بدأت الرسالة في أيسر وجوهها على أقرب ما يتصل بمزاجه المتألم.

كان يريد الاصلاح فلا يلقى أذُناً صاغية، فيزداد المه، وتشتد بلواه فينفس عن كربه بالبيت والابيات.

كان حزنه يتصل تمام الاتصال بما يرى عليه البلاد من خراب فتبعثُه الرؤية على الاسى والاسف وتجري من مآقيه الدموع.

كان في حوالي الثانية والعشرين حين قام (بجولة بين الفراتين) فراعه الدمار، وآلمه ان تذهب المياه الغزيرة هدراً فقال ـ فيما قال:

... آه أرض العراق مهبطَ عزٍ كنتِ ـ يالا ـ رجعت مهبط ذلّه
ليتني لا أرى الغباوة طبعاً عند اهليك، والجمود جبلّه

ويقف «على ضفاف دجلة» فيرعبه الفقر المنتشر، والجهل المخيم فيقول:

..ناديتُ: قوْمي، وحق القومِ مغتصب وصحتُ: شعبي، وحق الشعبِ مهضوم
مالي أرى الأرض جنات، وأرضكم ــ يا أمة الخير ــ موماة ويحموم

ويزيد حال الفقير حنقه فيلزم جانب الفقير كأنه مسؤول عنه...

يقولون: من هُوَ هذا الفقير فهل قال قائلهم: من أنا؟
فكم كان ما لم يخلْ كائناً وأمكن، ما لا يُرى مُمكنا...

يؤلمه كل ما كان يرى في العراق من خراب وجهل وظلم، ولكن العراق لم يكن مالكاً لزمام أمره، ولا مصرّفاً لشؤونه؛ لأنه جزء من دولة واسعة السلطان هي الدولة العثمانية. فهي الحاكمة، وهي المسؤولة، وهي الملومة.

ولقد فرح بدستور عام ثمانية وتسع مئة وألف ١٩٠٨ وأعلن فرحه وصاغ فرحته شعراً:

... هذي هي الصحف التي صعدت بنا تحمي التي نزلت بها الأملاك
نهضت بها همم إذا قاومتها بمُهِمّةٍ قَعَدتْ بك الأوراك

ولكن الفرحة لم تطل، وخيّب الدستوريون ظنون العرب. وبقي العراق حيث هو ـ ان لم يزدَدْ سوءاً.

ومعنى هذا أن يرفع الشاعر ذو الرسالة صوته لـ(يشير إلى ما وصلت إليه البلاد... من ناحيتي السياسية وتصريف الشؤون العامة).

... هَنئً لبناتِ الدَوح، أما طعامُها فغض، وأمّا ماؤها فقَراحُ
يَسام العراق الذل وهي عزيزة ويخرسُ أهلوه وهُنّ فصاح
اسُكان أجواز العراقين هَلْ لكُمْ نزوع إلى نيل العلا وطِماحُ
فلا تضعُفوا، إن السعادة قوّة ولا تجبُنوا، إن الحياة كفاح

ويبدو أن ألمه لحال بلاده بلغ به درجةً أوقت به إلى اليأس لما يرى من جمود ويتلقى من أذى ـ مع قلة من الأنصار وكثرة من الأعداء:

... هل قاريء بحياتي لوح عبرته فما حياتي إلاّ درسُ آلام
فررت من عقباتِ قلتُ أترُكها خلفي، فلاقيتُ أدهاهُنَّ قُدّامي

ثَقّفْتُ للخطب أرماحي فمـا نَفَعـت أنافعي اليوم أن ثَقّفْـتُ أقلامـي؟!
عددتُ داعية الاصلاح في وطنـي فما عَدتُ رُتبَـة الآحـاد أرقـامي
اكلّمـا رُفِعَـتْ للحـقّ ألويـة كـرَّت لتخـذُلَها رايـاتُ أوهـام!

الواقع ان رسالة الشاعر واسعة جداً، وان ضميره نقيّ جداً، وهو لا ينظر إلى إنسان بعينه أساء قدرَ ما ينظُر إلى الناس كلهم.

ولكن، لابد من التخصيص، فلقد دعت الحال إليه وقام الدّليل عليه. انه عراقي تابع للدولة العثمانية، ولقد ساءت حال بلاده، وقامت بها الفتن والحروب الدّاخلية، وخابت آماله التي عُقدت في العراق على إعلان الدّستور.

أجل...

... إلى مَ أجوبُ القُطرَ سال جهالةً وماج تقاليداً، وفاض خرابا؟
تداعت رحـالي أوبـةً وانـصرافةً وكلّـت ركـابي جَيئـة وذَهابـا؟
سمعتُ به صوتَ الرقيْ وأوجَسَتُ به النَّفسُ من أعلى «فَروقَ» خطابا
أخـذناه تغريـداً فَـردَّ بـه البُكـا علـى إثـرِ أرزاء العـراقِ نُعابـا
فُقولا لبانـات العـراق التـي ذَوَتْ وصـوَّحَ مـنهنّ العـراقُ جنابـا
سأشدو، عساها أن تعودَ نواضـراً وأبكي، عـساها أن تُـرَدَّ رِطابـا

وازداد برما بالدولة العثمانية، وازداد سخطا عليها، إنها لم تعُد أهلا لأن تضم هذه الأقطار الكثيرة، ولابد من (توقع تمزق شملها... وانسلاخ الأقطار العربية عنها) ـ المسألة كادت تُصبح شاملة، وتستحيل حقدا.

... وإذا أراد اللهُ رَقـدَةَ أُمَّـة ـ حتى تضيعَ ـ أضاعَها أخلاقَهـا
ملك الضَّلالُ زِمامَها فـإذا حَيَـتْ أو أمْسكتْ سببَ المعـالي عاقهـا
رأتِ العدالـةَ لا تَـروقُ لعينهـا فتلمّست في الليـل ظُلمـا راقهـا
ما عُذرُ طائفةٍ أضـاعَتْ مِـصرَها أن لا تُـضيعَ شـآمها وعِراقهـا!

■ ٧ ■

ثم بدت (طلائع الحرب العامة) فكان غير راضٍ عن قيامها، ومتطيراً من شَرَرِها:

... سيندَمُ خوّاضُ الملاحم هازلاً وسوفَ يرى هَزلَ التي خاضها جدَّا

فدل على بصر بالأمور ونظر بالأحداث.

والتفت - كما هو الواجب - إلى بلاده وسوءِ معاملةِ العثمانيين إياها ولا سيّما بعد اكذوبة الدستور:

... ألا مُدرك هذي البلادَ وأهلَها فقد لقِيَتْ من جور ساستها جَهْدا
تُفرّغُ أيدينا لتملأَ جيبَها وتنهَكُنا جُوعا لنُشبعَها حَمْدا
شرائعُ سنَّتها الجماعةُ غيرةً من الفرد، أشقَينَ الجماعة والفردا

ولكنه لا يمكن أن يقف حيث وقف، أقربَ إلى المتفرج... فقد زحف الانكليز نحو بلاده، ودخلوا البصرة وعسكروا في الشعيبة، فهبَ رجالُ الدين يدعون إلى الجهاد وكوّنوا جيشاً من المتطوعين بقيادة السيد محمد سعيد الحبوبي، وعبّأت الدولة العثمانية لحرب الانكليز وأعدت جيشا بقيادة أمير الآلاي سليمان عسكري بك، وزحف الجيشان وهاجموا الانكليز ولكنهما ارتدا فَشلَيْنْ خاسرَين.

انتحر سليمان عسكري بك، وكان محمد رضا قريباً جداً منه، شهد انهزامه وانتحاره، ووصف ذلك نثراً وصف شاهد عَيان، ووصف المعركة كذلك:

نبتُ الربى حُمرُ أشلاءٍ وأورادِ منثورة لك بين القصر والوادي

وقد بين فيها سوء تدبير العثمانيين وسخف تفكيرهم الحربي. وسخر منهم مر السخرية، وذلك حقه.

ولقد بانت النهاية، ولابد من قصيدة في (الوداع) - وداع الدولة العثمانية، فلم يبق سبب لبقائها، وموجب لحياتها:

أملكوا الصبر أن يطيرَ شَعاعا غمرات وينجلين سراعا
إن يَسؤنا تركُ الدفاع فأنتُم معشر تحسنون عنا الدناعا!

أما جيش المتطوعين العراقيين فقد انفضّ من بقي حيا منه، وعاد قائده إلى ناصرية المنتفك ورابط فيها إلى أن توفي و (كان لوفاته في العراق صدى أسف عظيم، وتسابق الشعراء إلى رثائه) ولم يكن الفتى الشبيبي ليتأخر عن الرثاء، لما للفقيد من منزلة سامية علما وادباً وشعراً.. وجهاداً..

... أأبا الفريق البائسين كفلتَهُم ورعيتَهم فإذا هُم أيتامُ
أدركتَ أنْ ستدولُ منّا دولة وعلمتَ أن ستُبدَّلُ الأحكام
وتُكَذّبُ الآياتُ ـ وهي حقائقُ مجلوّة ـ وتُصدَّقُ الأوهام

لم تعد للعثمانيين هيبة، ولم يعودوا أهلا لان يوثق بهم وان يُنتظر خير منهم لقد ثبتت حماقتهم، واتضح خرقهم وثار الأهلون هنا وهناك من انحاء العراق عليهم...:

لا الجبنُ ثارَ فأطغانا ولا البُخلُ الثائر الحقدُ بالأقوام والدّخلُ
نحنُ الألى عرض في جنب جَوْهَركُم فيه نصالُ المنايا الزرقِ تنتَصِلُ
قوم من العربِ، وَخزُ النخل حظهُمُ وحظ قومٍ سوانا الأريُ والعسلُ
عند المغانِم لا نُدْعى ويفْدحُنا من المغارم ثقل ليس يُحتَمَلُ
تأبى الحوادث إلا أن تملّككمُ ولا ـ ودينِ التآخي ـ ما بنا ملَلُ
أين الرّهين بأموالٍ لنا ذَهَبَتْ؟ ومن يقيدُ باخوانٍ لنا قُتِلوا؟
إما شهيد مُعَلّى فوقِ مشنقةٍ أو موثق بحبال الاسر معتقل

ومضى يشرح ويعدد الاسباب الدّاعية إلى حربهم ويقدم الاعذار المناسبة لمن يلوم عيها. ولم تكن به حاجة إلى كل هذا التفصيل ـ ولكنه النضج النادر والعقل النير لفتى في الخامسة والعشرين من عمره.

ومضى يتابع الاحداث عن كتب، ويحس بأن مصابه بالانكليز سيكون أشد وقعا، وأدعى إلى السعي لدفعه...

■ ٨ ■

وهكذا كان.

ويصبح المصاب أشد وأشد عندما يرى العراقيين من أبناء البلاد يتناحرون ويتفرقون، (فتتفاقم النعرات الحزبية السياسية) بما يعود على البلاد بالأخطار ويُمكّن للدخيل في الأرض والرقاب...

تثور الشكوى الكامنة في أعماق مزاجه، وتستحيل (حماسة لا سياسية):

ألا في سبيل الله والوطنِ العاني ... سُهادي إذا جنّ الظلام، وأشجاني
وفي ذمّة الشّعب المُضيّع حملة ... من الدهر ألقاها ــ وحيداً ــ وتلقاني
إذا كاد أنأى الناس عَني كِدتُه ... وإن كاد أدنى الناس مني، أعياني
تَعسّف قوم بالعراق وساوموا ... على وطن ــ ما سيم يوماً ــ بأثمان
هم احتقبوا الارزاء يَقْتَرفُونَها ... وقالوا: جنى عمداً وما هو بالجاني
هُم استعجلوا اللذات ينتهبونها ... وهمْ بدلّوا بالجوهر العرض الفاني
وقد تُنكِر الحُرَّ العراقي أرضُه ... فينأي، ليدنو منه من ليس بالداني

وهنا

تبدأ سلسلة لشكوى جديدة.. لن ننتهي.. الشكوى من العراقيين أنفسهم، ممن تصدّر ولم يكن أهلا للصدارة، ممن ادعى الاخلاص وليس له منه شيء، ممن خان وتعسف تحت ظل الدخيل الاجنبي.

ولكن الشكوى لا تجدي، ولابد من عمل، وهكذا كان، وعندما يبدأ الشبيبيْ العمل تقف الشكوى ويقف معها الشعر... انه الآن يجتمع ويلتقي، ويتحدث، ويناقش راضياً عن عمله، متفائلاً بثمراته.

(كان أحد الاعضاء الذين دُعوا للتشاور معهم في شأن مصير البلاد ـ وكان رأيه صريحاً، وموقفه وطنياً نقياً. انه لا يقبل أن يقيم الانكليز في العراق ولا يرضى ان يحكموا، وان من يقبلُهم ويرتضيهم ضعيف لا يمكن ان يمثل البلاد في شيء، انه يمثل نفسه.

الرأي الصحيح السعي ألى تكوين حكومة عربية عراقية، وهكذا بدأ السعي وفتحت المكاتب في أنحاء البلاد لتنظيم الدعوة، واسندت إلى محمد رضا الشبيبي رئاسة مكتب النجف.

وكان الانكليز يماطلون ويسعون إلى خنق هذه الحركة الوطنية، وسد المنافذ بوجهها، ومنع صوتها من ان يجتاز الحدود ويبلغ العرب والعالم...

وكان النائمون بالدعوة يضعون على الملك حسين الآمال، ويرون فيه قوة كبيرة، ولهذا، ولما نشطت قيادة الثورة كان الشبيبي أحد المكلفين فيها بالسفر إلى الحجاز لافهام الملك حسين وأنجاله وايقافهم على سير الثورة... وقد حمل معه ثلاث وثائق...).

سافر الشبيبي فعلاً عام تسعة عَشَر وتسع مئة وألف ١٩١٩، ـ بطريق البادية، بمرافقة أحدى القوافل البدوية المسلحة ـ وكان على أشد ما يكون من الحماسة وأقوى ما يمكن من الامل، وبلغ الحجاز وأدى الامانة.

ولابد من أن تكون خيبة كبيرة حلّت به فحملته على أن يقول ـ وهو يتحدث نثراً عن سفارته: «وقد صدمتنا ـ والحق يقال ـ مظاهر مؤلمة من الجمود والتأخر قد تبعث شيئاً من اليأس إلى النفوس، وأسوأ ما صُدمنا به: الواقع في المدينة ومكة، وفي الاحياء الواقعة بين الحرمين؛ ولدى من قابلناهم... فقدان المنهاج أو الخطة المرسومة للنهوض بالبلاد...

وقد زارنا كثير من الضباط وقادة الجيش العربي ـ وفيهم ضباط عراقيون من رتب لا بأس بها ـ وشكوا الينا مر الشكوى من الاهمال ومن الكسل البالغ وقلة العناية بشؤون البلاد من شتى نواحيها الادارية والثقافية والعسكرية والاجتماعية).

وبعد أن أقام زهاء أربعين يوماً... بارح مكة عائداً إلى المدينة في طريقه إلى الشام، فركب القطار، ولكن حال القطار كان مزرياً، وقد استغرق السفر به من المدينة إلى دمشق (أكثر من شهر).

أقام في سوريا وشاغله الهدف الذي خرج له من العراق من أجله، والرسالة التي يحملها لابد من أن يؤديها، فكان يتصل بمن يعنيهم الامر ويتابع الاحداث العالمية. ويتنسم أخبار العراق وما قطعته الحركة الوطنية من خطوات.

وأمضى وقتا قصيراً في صيدا، وله فيها عارفون ومعجبون، فأثار فيه جمال هذه المدينة الشعر فنظم رائية يصفها...

... أبت جملة الاشياء إلا لطافةً بصيداء، حتى أنت يا أيها الصخر...

ولكن مفعول الجمال مؤقت لا يستطيع أن يجتث عوامل الشكوى ويزيل دواعي الشجن وينسيه آثار الغربة ويغطّي على ما شمله من أذى في بلاده

... ولم أعيَ بالجهال يدرون ما بهمْ ولكنْ بقومٍ يجهلون ولم يدروا

وهيأت له صيداء أو حفلة أحد معاهدها لأن يعلن أمله (بالشباب) ويعلق عليهم الآمال في النهوض والاتحاد:

أنتم ــ مُتعتُم بالسؤدد يا شباب اليوم ــ أشياخ الغد

وهما مما سار من شعره.

وأقامت دمشق حفلة لتأبين الشهداء ـ شهداء عسف السياسة العثمانية خلال الحرب العامة، فنظم رثاء... وتمجيداً:

... عاشت دمشقُ فأي أمٍ قَبلها طُلّب الفِداءُ فقدّمت أبناءها
يا أمّتي لا تحزني، أو فاحزني: حزن النفوس الشم زاد مضاءَها...

وفي أواخر إقامته في دمشق اشتاق جداً إلى العراق فنظم قافيته:

ببغداد أشتاقُ الشآم وها أنا إلى الكرخ من بغداد جم التشوق

وكانت الثورة في العراق قد قامت (٣٠ حزيران ١٩٢٠) وأبلى العراقيون أحسن بلاء... وأجبروا الانكليز على التفكير في الأمر وعلى أن يغيّروا من سياستهم.

■٩■

ثم عاد إلى العراق وأقام في بلدته يعمل ويتصل ويناقش، ساعياً للسير بالبلاد سيرة حميدة تحقق الاستقلال وتضمن الرخاء.

ويرقب الذين اشتغلوا ويشتغلون بالقضية الوطنية، ويرقب من تصدر منهم للحكم، ومن أغواهم المال والجاه، ومن باع الضمير والكرامة، ومَن، ومَن... وفي ذلك ما يبعث على السّأم والالم. ويزيد الالم يوماً بعد يوم وتشتد الشكوى ساعة بعد ساعة، وتشتد حتى تبيت كأنها أشدُ ما لقي وأعنف ما عانى وتحين فرصة يحيلها حروفاً، فتكون قصيدة لعلها أقوى ما نظم، وقد جمعت عوامل الشكوى خارجية وداخلية، وأنواع الازمات ما ظهر منها وما بطن.

كان ذلك في عام واحدٍ وعشرين وتسع مئةٍ والف ١٩٢١ والشاعر في الثلاثين:

فتنةُ الناس ــ وُقينا الفتَنا ــ باطلُ الحمدِ، ومكذوبُ الثنا
ربّ جهم حوّلاه قَمَراً وقبيح صيّراه حَسَنا

أيّهـــا المـــصلح مـــن أخلاقنـــا ... أيّهـــا المـــصلح: الـــداء هنـــا
كُلّنـــا يطلـــب مـــا لـــيس لـــه ... كُلّنـــا يطلُـــب ذا حتـــى أنـــا
ربّمـــا تُعجبنـــا مخـــضرّةً ... أربـــع بـــالامس كانـــت دمَنـــا
لم تزل ــ ويحتكَ يا عصر أفـق ــ ... عـــصر ألقـــابِ كبـــارٍ وكُنـــى
حكـــم النـــاس علـــى النـــاس بمـــا ... سَـــمِعُوا عـــنهم وغـــضّوا الاعيُنـــا
فاستحالت ــ وأنا مـــن بعـــضهم ــ ... أذنـــي عينـــا وعينـــي اذنـــا
إننـــا نجنـــي علـــى أنفُـــسنا ... ــ حين نجني ــ ثم ندعو منْ جنى؟!

كان يفكر، ويطيل التفكير في أمور عامة جداً أصبحت عنده خاصة جداً: السعادة والشقاء، الخير والشر، الصدق والكذب، الحياة والموت..

وبينا هو كذلك إذ اختير وزيراً للمعارف، فشمر عن ساعد العمل، فهي فرصة لأن يكون مثلاً في الاخلاص، وهي فرصة لأن يعمل... ومضى في منهاجه... ولكنه ما أسرع ما استقال من المنصب عندما اتضح له ان سياسة الحكومة غير سياسته.

وبقي بعيداً عن الوزارة حوالي عشرة أعوام... سقطت خلالها عدة وزارات... وكان هو يخوض فيما يخوض فيه غيره من العمل السياسي رائده الاخلاص اولا، وموقفه المعارضة للباطل في المجالس النيابية.

وعلى حين فترة من زحمة العمل سغلته فكرة كبيرة كادت أن تكون أزمة، أو وصلا لأزمة سابقة، استهان وهو في لجتها ـ بهذا الذي يعده الناس مجداً، وهذا الذي يطرب إليه الناس من المديح الذي يُرفع اليهم. أما هو فيرفض هذا المديح في كل وقت، وفي هذا الوقت بخاصة، حتى ما يمكن أن يكون مخلصاً أو صحيحا منه؛ لانه رجل يعرف قدره وأنه يبحث عما هو أبعد من متناول فكره فضلا عن متناول رأي مادحه، ولذا أشاح عن هذا المادح وأخجله، إذا قال ـ فيما قال:

أنا يا مُكبـري ومطـري خِلالـي ... عارف مـن أنـا، خبيـر بمـابي
أنا من لستُ حـينَ أسـألُ نفـسي ... سرَّ نفـسي ــ مـزوَّداً بـالجواب

ثم قال أكثر من قصيدة ضمنها حالته، وشكواه العامة والخاصة، وألمه لما تعانيه بلاده على يد أبنائها.

ودعي لوزارة المعارف فأجاب، ولكنه استقال بعد ستة أشهر، لأنه يصعب عليه تحمل خطأ الآخرين، وتحمل أوزارهم، ان يعمل، فإذا تلطخ العمل بالدم واختلط بالاثم فضل الانسحاب وانسحب.

وهكذا... عاد إلى وزارة المعارف ثالثة، ورابعة وخامسة.

وهو إذ يخرج من الوزارة لا يخرج عن العمل السياسي بل يبقى نائبا أو عينا أو رئيساً لمجلس الاعيان، ملتزما ـ دائما ـ الجانب الوطني واقفا موقف المعارض للقرارات التي تضر الشعب.

ويصبح شعره لدى العمل قليلاً، وأقل من القليل.

ومع هذا.

فلابد من ان يكون ديوانه في أيدي الناس، وقد تم ذلك على يد (الرابطة العلمية الادبية) ويد عضو فيها يعرف الشبيبي جيداً هو السيد محمود الحبوبي.

استعانت الرابطة بمخطوطة يحتفظ بها الشيخ لديوانه وزادت عليها ما جمعته من هنا وهناك، من جرائد ومجلات ومحفوظات.

وإذ اكتمل العمل برأيها، أطلعت الشيخ عليه فحذف منه غير قليل مما لم يرق لذوقه او فكره، مصنفاً الباقي على ثمانية أبواب دون أن يكون ترتيب القصائد في الباب الواحد على نظام واضح، وقد تؤرخ هذه القصائد او لا تؤرخ مما يتعب الدارس ـ فيما بعد ـ الذي يريد أن يربط بين الشعر وحياة صاحبه.

وقدم للديوان بمقدمة يمكن أن تكون ـ في بابها ـ احدى الوثائق الادبية.

ثم طبع في القاهرة في عام أربعين وتسع مئة والف ١٩٤٠. وصدر فكان أحد الاحداث الادبية في العراق.

■ ١٠ ■

صدر الديوان في عام ١٩٤٠، قبل نظم الشيخ الشبيبي بعد ذلك شعراً؟

نعم، ولكنه قليل جداً، وليس بذى قيمة كبيرة إذا قيس بسابقه.

لقد انصرف الشيخ الشبيبي إلى كثير من أمور السياسة والنيابة، واذ يتسع له وقت يكتب مقالات من هذا الوادي ينشرها في جريدة الزمان دون ان يكون لهذه المقالات وقع كبير لدى الجيل الجديد من المثقفين.

أما جهده الاكبر فكان يبذله ـ كلما تقدم الزمن ـ في ميادين البحث والتأليف والمحاضرة... والمؤتمرات والمجامع اللغوية في بغداد والقاهرة ودمشق. كان نشطا، ونشطا جداً على الرغم من دخوله العقد الثامن من عمره، ولكن لم يعد الشعر همه.

وفي ذات يوم مرضت قرينة حياته وفجع بفقدها فـ «ظهر عليه شيء من الفتور والضعف... فقد أحس بالالم يغمر كل وجوده... ولا يبعد أنه ظل يبكيها حتى فارق الحياة، وإن لم يره أحد باكيا، فقد كان ذا وجه لا تجد للألم ظلا على أديمه، ولكنه كان ذا قلب لم يترك الاحساس موضعاً منه خياليا من الالم).

كان يبكيها ـ إذا خلا بنفسه ـ دمعا، فإذا ألح عليه الحزن، وألحّت عليه الحاجة إلى أن ينفس عن كربه والى ان يتخفف من هذا الذي يثقله بالكلمات، واذ لا مفر من ذلك، يلجأ إلى قلمه، ويكتب على أقرب أوراقيه إليه، ولتكن ظهور الاضابير وأغلفة البحوث، يكتب الاشياء كما تتوارد عليه: ذكراً للفقيد، ووفاء لها، وفكرة بالموت واللحاق بها. حتى إذا انتهت العاصفة عاد إلى ما كان يريد ان يشغل نفسه به من أمور العلم...

وان عادت العاصفة، عاد، ولعله لم يكن يقرأ ما يكتب بعد أن ينصرف عنه، ولا ينقحه، ولا يسعى لأن يجعله كما يريد من البناء.

ولا أدلّ على ذلك من هذا الغبار الذي علا هذه القصائد سريعاً، وهذا الضياع الذي غيبها بين مجاميع الاضابير...

كان فقد (القرينة) عام ١٩٦٤ وبلغ ما قاله فيها عدة قصائد أمكن تسميتها بـ (رنين الاجداث) لم يعرف عنها شيء في حياة الشاعر وقد عُثر على عدد منها بعد وفاته ولكها تفيض حزناً ولوعة، له من مطالع بعضها هذا البيت:

في كل ركنٍ من المأوى لها أثرُ فكيف تحجبها الارماس والحُفَرُ

ولكنها في جملتها ليست على النسج الذي كان له في عامة ديوانه.

ثم كانت وفاته فجر يوم الجمعة الثاني من شعبان من عام خمسةٍ وثمانين وثلاثِ مئةٍ وألف ١٣٨٥ الموافق للسادس والعشرين من تشرين الثاني من عام خمسة وستين وتسع مئةٍ وألف ١٩٦٥.

وكان آخر أعماله المجيدة حضوره الاحتفال الذي اقامته الاردن في القدس لمناسبة ذكرى الاسراء، وكان فيه ملءَ السمع والبصر، هيبة ووقاراً... ورأياً وكلاماً...

ثم عاد... ولما بلغ مطار بغداد كان في استقباله الالوف... وبلغ داره مغتبطاً معافى ثم ودّع من ودّع وهو بصحة وخير، ولكنه ما كاد يمضي منتصف الليل حتى أحس بألم... انه نوبة قلبية لم يُجده المستشفى شيئاً وكان آخر ما ندّ عنه(إلى الله المشتكى).

وكان لوفاته صدى بعيد جداً يتناسب طرداً مع ما للفقيد من مكانةٍ في القلوب، ومنزلة في المجتمع وحظٍ من العلم والادب والشعر...

هزّ نعيه البلاد فهبت تشيعه... وسارت وراء نعشه اكثر من ألف سيارة، وحملته الاكف في خضوع وإجلال عشرات الأميال...

ثم كانت كلمات الحزن وقصائد الرثاء والفواتح وحفلات الذكرى...

■١■

إذا استعرضنا شعر الشبيبي ألفيناه ـ كما جاء في فهرس ديوانه ـ سبعة أبواب (أو ثمانية) هي الحماسة، الحكميات، الاجتماعيات، الأخلاقيات، والالهيات، الوجدانيات، والوصفيات، الرثاء، المتفرقات.

هذه هي الأبواب التي اعترف بها الشاعر، وهناك ـ كما رأينا ـ شعر وأبواب لم يعترف بها، وقد نفاها من ديوانه وتبرأ منها بعد أن تغير مفهومه وبعد أن أدرك أن للشعر رسالة.

وقد دل الشبيبي إذ هذب ديوانه من أوائل شعره على أنه ناقد جريء، ودل على تمكن معنى التجديد منه.

اما من اراد التأريخ فليرجع إلى هذه القصائد المحذوفة في مظانها وليجهد ـ إذا رأى أن عمله ذو جدوى. بل ان مؤلفا معاصراً هيأ له الكثير جداً من هذا المحذوف. وقد تكون نية الباحث ليست سليمة جداً إلا أن هذه الأشعار لا تغض من شأن الشبيبي الرجل فما مدح ـ إذ

مدح ـ من اجل مالٍ، وما كذب ـ إذ رثى ـ من اجل جاه... وكل ما في أمره انه خاض فيما خاض قومه من أغراض وأشكال.

على أن هذه الفترة الأولى لم تمض دون نفع فلقد كانت (مختبرا) سهل (ميكانيكية) النظم وأعد الفتى للدور الكبير، وهيأه لأن يكون صاحب (الديوان) العتيد.

وليست العبرة من الديوان بأسماء هذه الأبواب السبعة أو الثمانية وفي اختلاف هذه الأسماء بين الحماسة والرثاء؛ لأنها ليست ـ لدى التحقيق ـ إلا تبويبا لا ينفع إلا في الامور الشكلية، ولا يميز إلا في الحدود المظهرية.

ان الديوان ـ لدى النظرة الفنية ـ وحدة متماسكة، يمكن أن يقال معها: إنه باب واحد يقوم على باعث واحد.

وباعث الشبيبي على الشعر هو الشكوى؛ لأن الشكوى في صميم مزاجه وهي القاسم المشترك الاعظم في شخصيته.

ولا يشكو الشبيبي فقراً، او إساءة صديق في مسألة شخصية، ولا يشكو فوت جاه أو زوال منصب. إنه يشكو عندما يرى الانسان يسيء، ويتخبط، ويخون، وهو لا يرى هذا الانسان بين صفحات كتاب أو في مسألة ذهنية منطقية، وإنما يراه في اقرب الناس إليه. في هذا الذي عمل معه من اجل هدف سام، انه رأي الانسان في الانسان نفسه، في هذا الذي عانى وإياه الخير والشر.

ومن هنا يبرز العنصر الانساني في شكوى الشبيبي.

كان الانسان الذي رآه يسبب له الالم، فيثير الالم الشكوى، وتطغى هذه الشكوى فينظمها شعراً ـ والشكوى عنده طريق إلى النور كما هي الطريق إلى الشعر:

إن الضمائر والقلوبَ إذا دَجَت دخلَ الاسى أعماقَها فأضاءَها

لانه لا يقصد بها إلى إشاعة الشكوى من اجل الشكوى ولا يقصد بها إلى تثبيط الهمم، انه يدعو إلى التنبه، والى ابراز الاسواء، ليمكن العمل وهو الشاعر البناء.

فمذ آمن بأن للشعر رسالة.

وبدأ الطريق ونظر إلى ما حوله فرأى ـ كأنه يرى لاول مرة ـ خرابا يعم وطغيانا يسود، وعامة تظلم، وأجنبيا يتحكم، ووطنيا يغط في نوم فيؤذى دون أن يعلم، وآخر يخون فيؤذي عن قصد وتصميم إذ يبيع نفسه ووطنه ومعتقده وانسانيته لقاء عرض زائل وجاه حائل...

يرى، فيتألم، فيغلى، ويدافع الغليان فلا يستطيع له دفعا، فيحيله شعراً.

كانت تجربة الدستور من اولى التجارب القاسية، ولكنه لم ييأس ولم يسكت، فأعمل رأيه في الموقف ثم سار للعمل.. واكتشف ان من بين هؤلاء الذي يعمل واياهم من يتجسس عليه للأجنبي فتألم، وقال ـ فيما قال:

تخوّن موسى قومُ موسى، وشـرّدت أخا مـدينٍ عمـا يحـاول مـدينُ

ولكن ذلك لم يثنه:

ولست امرءاً لاحتْ مغامزُ قـصدِه ويلويـه عنهـا القـائفُ المـتكهّنُ

هذا باعث للشكوى لدى الشبيبي، وهي شكوى ـ كما نرى ـ سامية الصفة، عالية المرمى، قلّ ان نجد له نظيراً في شعرنا، وندر أن نقرأ لها مثيلا. ومن هنا كانت مظهراً مهما من مظاهر أصالة الشبيبي في اصلة العصر الحديث.

والشكوى عند الشبيبي شكويان لهما نتيجة شعرية واحدة لأن باعثهما واحد، هو الالم، وغايتهما واحدة، هي البناء.

الأولى ثورة وقف مبدأ (الاعتدال) ـ الذي يلتزمه الشاعر في الحياة إراديا ـ دون أن تتفجر براكين وحمما، وضيق بأناس معيّنين حال هذا الاعتدال الاخلاقي دون ان ينطلق شتما وهجاء.

والشكوى الثانية، حساسية شديدة تشبه أن تكون حالة مرضية غالبة، ولذا فانها تلون الابواب المختلفة ـ حتى ما كان منها اجتماعيا وسياسياً والهيا ـ بلون واحد سائد هو اللون الوجداني حتى ليأخذ من الرومانسية صفة مهمة منها هي العاطفية ـ والعاطفة الحزينة بخاصة.

وهنا سمة أخرى من سمات اصالة هذا الشاعر، مما جعل شعره في هذه الابواب التي تقتضى الجفاف والتقرير بعيداً عن الجفاف والتقرير، مترفعاً عن النثرية التي وقع فيها أغلب الشعر الحديث إذ زاول اغراضاً عدّها جديدة وسجلها في سمات العصر الجديد.

وإذ نربط بين الشكوى والوجدانية او الرومانسية لابد من تحديد، وتكرار للتحديد، ذلك انك لا تستطيع ان تقول: ان الرجل عاطفي، يفقد توازنه لدى الملمات ويضعف لدى اصطراع العوامل في نفسه، وان شعره عاطفي بالمعنى الشائع الذي لا يضبط صاحبه من طغيانه ولا يكبح من جماحه.

وتلك صفة أخرى جديرة بالاعجاب تضاف إلى صفات الاصالة في شعر الشبيبي.

■ ٢ ■

يعلن الشبيبي شكواه في شكل رفيع، له اللفظ المنتقى، والتركيب المتماسك السلسل السليم الوزن، الثري بالايقاع، والنسج العالي البعيد عن العوج الخالي من العثرات ـ وتموج في كل ذلك الحياة وينسجم المعنى.

تكوّن لديه هذا الاسلوب ثمرة لمرانة مجدية ونتيجة لمفهوم صحيح.

واعانه على تكوين المفهوم نظرة نقادة وذوق سليم، وموهبة اكيدة وثقافة جديدة... وألفة وحفظ لروائع النثر العربي وفي مقدمتها القرآن الكريم ثم نهج البلاغة، وإدامة نظر وحفظ لبدائع الشعر العربي وعلى رأسها آثار كبار شعراء العصور العباسية: أبو نواس، أبو فراس، المتنبي ولا تسل عن الشريف ومهيار. اما البحتري فكان لفنه مكان خاص من نفسه لأن المسألة مسألة ديباجته، والبحتري من اكابر شعراء الديباجة، وانه المثل عليها ان عز فهمها وصعب تحديدها.

قال الآمدي: (وحسن التأليف ببراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاءً وحسناً ورونقاً حتى كانه قد أحدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد.

وذلك مذهب البحتري.

ولهذا قال الناس: لشعره ديباجة).

والديباجة ان كانت ترد وصفاً للشكل، فهي لا يمكن ان تنفصل في دلالتها عن المضمون؛ لأن الماء والرواء لا يأتيانها إلا منه، وهما ـ أي الماء والرواء ـ ينبعان لدى الشبيبي من الالم ـ وان شئت ـ من الشكوى هذه الشكوى التي تند عن نفس مرهفة مؤدبة، كتوم، متأنية متأنقة، تتحدث إلى الآخرين كما تتحدث في خلواتها: همساً في العادة، وإذا هدرت لم تخرج عن طورها لأن عليها رقابة العقل وصرامة الارادة.

وهكذا تصبح للشبيبي ديباجة خاصة ذات منظر خاص به مما يهيئ له الاصالة فيها ويميزه من غيره من أصحاب (الديباج).

ان المفهوم الشعري السليم متمكن من ذهن الشبيبي، وتأتي الديباجةُ في طليعة هذا المفهوم، فما أمكن أن تتوافر فيه طَرقه، حتى لو كان سياسةً او اجتماعاً أو فلسفة عندما يمكن أن تكون هذه الاغراض شعراً؛ وما لا يمكن أن تتوافر فيه نبَذه وتجنبه عن قصد حتى عدّ من مفاخر العصر الحديث.

عرض مرة لشعراء مصر فبدأ بذكر إسماعيل صبري ثم شوقي وحافظ أو حافظ وشوقي... وجرى ذلك مرتين على قلمه في مناسبة واحدة. ولابد من أن يكون مردّ ذلك ديباجة إسماعيل صبري.

وعرض مرة للرصافي فقال: (للرصافي ومثله الزهاوي أسلوب خاص ينظمان بموجبه الشعر في موضوعات العلوم الكونية وبعض المسائل الطبيعية أو الرياضية. تقرأ هذا الشعر، فكأنك تقرأ فصلاً لكتاب كتبه في موضوعه، فهذا الشعر لا يفرق عن النثر في شيء، ولست من يُعجبه هذا المذهب مطلقا، ولم أجد فيه ميزةً من ميزات الشعر...).

هذه ملاحظة منتظرة جداً من شاعر يدرك كُنْه الشعر ويعرف مدلول الديباجة.

وكان مناسباً جداً ان يلاحظ الشبيبي هذه النثرية فيما نظم الزهاري في جملة أغراضه وفي كثير مما نظمه الرصافي في موضوعات السياسة والاجتماع وما اليهما من أغراض التجديد، ولكنه لم يفعل ـ ولعل له عذراً ـ وإنما عمم ووقف عند أجود ما نظمه الرصافي فأثنى عليه وقال: (ديباجة في غاية الصفاء).

أمّا ألاّ يكون للشبيبي ما للرصافي والزهاوي من الشهرة بين شعراء العراق، فتلك مسألة أخرى.

ولم يكن عبثاً أن يغلب اسم الزهاوي والرصافي على الشعراء العراقيين وعلى اسم الشبيبي مثلاً، فلقد نظما كثيراً وانصرفا إلى الشعر طويلاً سياسة واجتماعاً وفكراً... وكانا اسبق من سواهما إلى الجديد والى ربط اسميهما بأحداث السلطنة العثمانية وما تلاها... وظلا يواكبان الاحداث سلباً وايجاباً... فاختلطت بعامل الشعر عوامل كثيرة خارجة عنه أذاعت من الاسم، ونشرت من الذكر.

أما الشبيبي فيعد إلى جوارهما مقلاً، وكان ينظم كأنه ينظم لنفسه، وكأنه لا يطلب شهرة أو مجداً عن هذه الطريق، ثم انه لم يواصل النظم، وان عمله الاكبر حصر في حدود السياسة العراقية ـ ومن عجائبه ان العمل السياسي فيه ـ لم يطمس مكانته الشعرية، عند الخاصة ـ بخاصة.

أما مسألة التجويد، والمقابلة في ضوئها... فلو كان المجال مجال آراء شخصية لقلنا: ليس الزهاوي شاعراً، وان الرصافي شاعر مجيد، ولكن الاكثار، واتخاذ الشعر مقالة أوقعه في نثرية جديدة، انه شاعر مجيد ولكنه لم يتسق فناً، ولم يتسق حياة ومبدأ وخلقا..، انه شاعر مجيد ويمكن أن يكون جيده خيراً من جيد الشبيبي، ولكن ليس للشبيبي رديء.

الزهاوي والرصافي شاعران ـ رضينا أم أبينا، وهما كبيران في تاريخ الادب العراقي الحديث، وهما دون شك أشهر ممن سواهما ـ وسواهما كثير ـ ويأتي الشبيبي ـ على أي حال، ولدى نسيان أو تناسى الكاظمي ـ في أثرهما، وكثيراً ما يقال: الزهاوي والرصافي والشبيبي.

ذلك مقياس الشهرة والتاريخ الادبي ـ وله سلطانه.

■ ٤ ■

تأخر الشبيبي قليلاً، ولاشك في انه المسؤول المباشر في الوقوف حيث وقف. وفي تحميله هذه المسؤولية تأتي ـ في نظرنا ـ أكبر عيوبه، سياسةً وشعراً.

كان بامكانه ان يكون في السياسة أكبر مما كان، وأن يحقق أكثر مما حقق ـ فما فعل.

وكان بامكانه أن يكون في الشعر اكبر مما كان وان ينظم اكثر مما نظم ـ فما فعل.

الشبيبي ذو موهبة أمر لا مراء فيه، وهذا شعره بين أيدينا دليل ناصع.

تلك بديهية.

ولكن هذا الشعر الشبيبي الجيد نفسه يمكن أن يدلّنا على موهبة لم تُستثمر كاملة، ويمكن أن يدلنا على ان الشاعر كان يستطيع أن يأتي بالأجود.

وأكبر الظن أن السرّ في ذلك يرجع إلى ان الشبيبي الرجل كان أقوى من الشبيبي الشاعر.

الشبيبي الشاعر الكبير، ولكن الشبيبي الرجل اكبر، وهذا الرجل ذو إرادة قوية جداً، وهو يستعمل هذه الارادة ـ اكثر ما يستعملها ـ لمنع النفس من ان تجمح، وحتى من أن تبعد في

الطماح؛ وصد الفكر من ان ينطلق، وحتى من ان يخرج عن المألوف كثيراً، حفظاً للسمعة وحرصاً على المستوى الاخلاقي وخضوعاً لاعتبارات بيتية.

ومعلوم ان الشاعر لابد من ان يحلق إلى ابعد مدى دون حاجز، وان يقذف على لسانه كل ما يغلي به جنانه ـ دون صمام. فإذا فعل ذلك استثمر ماله من موهبة، وان لم يفعل بقي من موهبته قدر عاطل لا يزيد نفعه عن الرصيد المجمد الذي يبقى مجرّد رصيد.

وهذا يعني، أننا لا نستطيع الحكم على شاعرية الشبيبي كما نستطيع الحكم على شاعرية الرصافي ـ مثلاً. هذا الشاعر الذي (قد رضي لنفسه) ـ كما اخبرنا الشبيبي نفسه وهو يتحدث عن مساوئه ـ «تخطي الحدود، ولم يعرف ليناً أو هوادة في نقده وسخريته وهجوه المقذع، فكان كالريح إذا هاجت عاتيةً نكباء، تأتي على ما مرّت به من رطب ويابس...).

ولم يكن الاعتدال طارئاً في كلام الشبيبي أو انه قال به لمجرد أن يطالب الرصافي بما ليس له، وإنما هو مبدأ راسخ في نفسه وفي خلقه، تشرف على تنفيذه تنفيذاً محكماً إرادة قوية لا تعرف الهوادة، وغير معتدلة في رقابتها ـ منذ التربية الأولى، ومنذ التجارب الأولى في البيئة الأولى، مما اورثه حذراً دائماً وتقليباً لوجوه الامر قبل ان يقدم عليه.

وليس من المعقول ان تكون هذه النفس قد سلمت بهذه القاعدة من الاعتدال في يسر فلابد من ان النفس كانت تغريه حيناً بالمكاسب ـ وهي امامه ممكنة؛ وتؤنبه حينا على الخسائر ـ ولم ينج منها يوماً.

ولكنه كان يناقشها ويروضها حتى يسلمها إلى الرضا برأيه. وقد صبّ خلاصة هذا النقاش الطويل في محاورة النفس ومجاراتها في بيت من الشعر، سهلٍ ممتنع، كأنه يمثل دستوره في الحياة والفن والسياسة وكل شيء.

خيراً أرى لكِ أن اخاف لتأمني يا نفسُ، من أن تأمني لتخافي

وإذ قلّ بهذا حظه فقد قلّ خطؤه وإذ حُرم به من القمة فانه لم يقع إلى الهاوية.

ومعنى هذا رياضياً انه لم يخسر كثيراً، وهو مما يمكن أن يكون كذلك في غير المقياس الرياضي. ويكفيه أنه عاش محمود الذكر، ومات محموده وسيظل كذلك.

أنه لم يبلغ أن يكون السياسيّ الأول في بلاده، ولكنه بلغ أن يكون السياسي الشريف.

ولم يبلغ أن تكون له من الشهرة ما كان للزهاوي والرصافي، ولكنه بلغ أن يكون أشعر من الزهاوي في مطلق شعره، واشعر من الرصافي في كثير من شعره، وأن يأتي ذكره معهما ـ أو

بعدهما ـ كلّما ذكر شعراء العراق، وان يأتي قبلهما لدى وصل الشعر بأخلاق صاحبه والحديث عن استواء السيرة.

وقد يكون مستقبل مجده الادبي خيراً من مستقبلهما، وأن يلقى من المعجبين اكثر مما يلقيان.

ولا أكاد أشك في أن مجده الادبي سينتشر إلى اوسع مما هو عليه اليوم.

انه لم يخسر كثيراً، ولكننا كنا نتمنى عليه لو حقق كل ما هو أهل له واستثمر من موهبته كل ما يمكن أن يكون كامنا فيها... ليكون ربحه أكثر وجيده أكثر ـ وربما: أجود.

انه لم يخسر كثيراً، وان ربحه في السياسة يوازي ربحه في الشعر؛ لأنه يصدر في الاثنين عن نفس واحدة، ولهذا فاننا لا نقول ما قاله أحد الساسة وهو يهجم عليه: انك شاعر، لست أكثر من شاعر، وما أنت والسياسة...

ولا نقول ما قاله أحد النقاد وهو يريد أن يثني عليه دون أن يعلم أبعاد مكانته السياسية: سيمضي الشبيبي الوزير ويبقى الشبيبي الشاعر.

لا... يبقى الاثنان، كلاهما ناصع في بابه وإنما الذي يعنينا نحن: الشبيبي شاعراً.

شاعرية الشيخ محمد رضا الشبيبي

الاستاذ الدكتور عناد غزوان*

١ـ الوطنيات

في غمرة النضال من أجل الحق والعدالة وبناء كيان عراق متحرر من قيود التقاليد البالية ورواسب الجمود انطلقت شاعرية المرحوم الشبيبي ترسم للاحرار طريق الحرية والنور وتبني لهم من ثاقب رأيها وصدق مبدئها وأمانة عقيدتها الوسيلة الناجعة للوصول إلى الهدف الامثل ألا وهو الاستقلال التام والانعتاق من الظلم والجور والطغيان الذي تمثل في كثرة مآسينا لدرجة ان الحزن والاسى اصبحا ملازمين لطبيعتنا النفسية وقد وضح رحمه الله هذه الفكرة في مقدمة ديوانه إذ قال: (كنا في رهط من الشباب العراقيين وغيرهم نفكر تارة في رسم اهدافنا، وطورا في الوسائل التي توصلنا إليها. ولم نكن نستهدف في الواقع إلا الحياة في ظل نظام تحترم فيه الحقوق والحريات، وتفلح في كنفه المساعي، ويتيسر النهوض بالبلاد، كما كان في مقدمة العقبات الشاقة التي تواجهنا دائما استفحال الجمود، وفقدان الشعور بالواجب، خصوصا لدى المسؤولين وعدم اكتراثهم او مبالاتهم بالاخطار، فتضطرم النفوس، وتثور الارواح المتمردة، وتتضاعف الهواجس والآلام، ثم تفيض بهذه الصور الشعرية كما يفيض القليب الملآن). وديوانه المطبوع في القاهرة سنة ١٩٤٠ كان حصيلة تلك المرحلة الحاسمة من تأريخنا المعاصر والتي تبدأ باعلان الدستور في بلاد الدولة العثمانية سنة ١٩٠٨ فكانت آلام البيئة العراقية وطبيعتها الباكية وما ألم بها من احداث قاسية عاتية وما اجتازته من ازمات (وفيها ما يثير الشجن والالم الممض) اكبر مصادر الهام ديوانه حيث تبلور ذلك الالهام في قصائد حماسية رائعة تسجل بأمانة واخلاص وصراحة وجرأة مكانة هذا الانسان الخالد الذي نذر نفسه لخدمة رسالته المقدسة وضحى بكل غال وثمين من اجل اعلاء كلمة الحق وارساء راية العدالة الخفاقة على ربوع العراق ورافديه وهو يجتاز اقسى مرحلة من مراحل بنائه وتوطيد

---

* كاتب، وباحث، ناقد، محقق، من أساتذة جامعة بغداد، عميد كلية أصول الدين سابقا.

عن: مجلة البلاغ الكاظمية س١ ع٥ لسنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م. ص٧ـ٢٠.

كيانه الحر المستقل فأنت لو ألقيت بنظرة عجلى على عناوين قصائده الموسومة بالوطنيات[1] وحاولت ان تتحسس بما وراء تلك العناوين من روح متحمسة وقلب كبير وعقل ثائر، لأدركت بان الشبيبي عاش ومات في (سبيل الشرق) وسكب عواطفه الحارة واشواقه الملتهبة في كلمات مؤثرة بليغة وهو يتحدث عن العراق ودعوته الصابرة الشريفة لنيل استقلاله وحريته (فالثورة على الاتراك) بكل ما فيها من شكوى وعتاب و (قصيدته الباكية) وهو يتحدث عن (دمشق وبغداد) تلك القصيدة التي نظمها في اول تشرين الاول سنة ١٩١٨ حينما أذاع الانكليز في العراق انهم ـ لا العرب ـ أخذوا دمشق الشام والتي يقول فيها:

ماذا بنا وبذي الديار يراد؟ فقدت دمشق وقبلها بغداد
من موطن الميلاد قامت نزعا خيل لهن بجلق ميعاد
ساءت وقائعها وما سرئت بها لا الهجرة الأولى، ولا الميلاد
وردت مياه الرافدين مغيرة شقر من انقبّ البطون وراد
هجنٌ طردن من الجياد كرائما عربية فكأنهن جياد
بردى وأودية الفرات ودجلة والنيل غص بمائك السوراد

تلقي ضوءا على صميم احساس الشبيبي بمشاكلنا العراقية والعربية على حد سواء وتظهره (انسانا لم يتصنع الوطنية، ولم يخاتل الذهنية العربية. ولم يلتو بأسلوب ينضوي تحته الغدر والمسالة). فقد شارك بوجدانه المتدفق وعقليته المتحررة الوقادة في بناء الحكم الوطني وكافح الاستعمار في كل اشكاله في عهد الاحتلال وبعده وكان في طليعة المشتغلين باخلاص ووفاء بالقضية العربية والعراقية..

فرسالة الشعر في ديوانه ذات ابعاد انسانية ومكانة الحرف في حياته تلتزم الدفاع عن الحق وتبشر بالخير في كل زمان ومكان، والكلمة الفاصلة هي تلك الكلمة التي تستخرج العظلة البالغة من سنن الاجتماع وعبر التاريخ والتي تسمو عن الذاتية الضيقة والفردية التي قد تكون وليدة الانانية في بعض الاحيان إلى عالم رحب واسع تحتل فيه الفضائل ومكارم الاخلاق

---

(١) (في سبيل الشرق)، (في العراق) (عائد وعائر) (حلوان بعد العراق) (طلائع الحرب العامة) (من الحرب إلى الحرب) (درس آلام) (الوداع) (ثورة على الاتراك أو شكوى وعتاب) (يوم المدائن وتل الصور) (دمشق والشام القصيدة الباكية) (حماسة لا سياسة) (الحب الطاهر (الهيام بين العراق والشام) (الشرق الناهض) (يوم الشعبية) (اوطار واوطان) (الحرية والشعر) (دجلة والفرات) (على ضفاف دجلة).

الصدارة، فشرف الكلمة وانسانيتها يولدان من قدسية الاخلاق والدعوة الفاضلة التي تسعى إلى تحرير الانسان من العبودية والظلم لتشعره بانسانيته ومكانه اللائق به في عالم النور. فإذا كانت للشاعر (جولة) كما يقول الشبيبي (في وجه من وجوه الاصلاح، او ناحية من نواحي الخير، وإذا ومضت في فنه شعلة تنير السبل الحالكة، أو علت صرخة تثير العزائم الخامدة، او سرت نفحة تحيي الرمم البالية، فقد أدى الرسالة، وهي هدفه الاقصى، وفيها عوض عن كل فائت لمن عشق فنه، او اخلص لمثله الاعلى، وإذا كانت الاخرى فليس الناظم باول سار غره القمر، ثم مضى يتخبط في مفاوز الحياة).

فالشبيبي عندما يقيم الاثر الفني شعرا كان او نثرا انما يلتزم الاخلاقية في مثل ذلك التقسيم أو التثمين. فالقصيدة الناجحة بالنسبة له هي التي تكون رفعة اخلاقها سببا في سمو فنيتها او قل ان الشاعر الفنان بنظر الشبيبي هو الانسان الذي لا ينافق ولا يخاتل ولا يراثي. فقوة الشاعرية من حيث كونها فنا تتجلى بصدق اخلاقية الشاعر وأمانته في التعبير ذلك الصدق وتلك الامانة التي لابد أن تتجسد على سلوكه الظاهر كانسان صاحب رسالة فلسانه الشعري جزء لا يتجزأ من سلوكه الاجتماعي الظاهر. والسلوك كلمة تعني شخصية الانسان بما في تلك الشخصية من مقومات اجتماعية واخلاقية وعقلية ونوازع وجدانية ورغبات وميول. وقد عبر الشبيبي عن رسالة الشاعر والشعر في الحياة في قصيدته (الشعر بين الحق والباطل) عندما نادى بجرأة معروفة بانطلاقة الشعر للتعبير عن الافكار الخالدة المصحوبة بالاعمال إذ لا عبرة بالقول دونما عمل:

كفى الشعر ذما ان للشعر قائلا ... وما هو إلا قائل غير فاعل
ولا خير في شعر إذا لم يقم به ... خمول نبيه، أو نباهة خامل
إذا قلت: ان الشعر بحر غبنته ... متى يستقيم البحر من غير ساحل؟
قرائحنا منها بحور خضارم ... ومنها ــ إذا جربت ــ رشح الجداول
واجمع أقوال الرجال أسدُّها ... معان كبار في حروف قلائل
وقد يفضل البيت البليغ قصيدة ... مطولة، لكن على غير طائل
وقد يبلغ اللفظ القصير رسالة ... إذا عدت الالفاظ روح الرسائل

فالشبيبي يريد صراحة القول في العمل، تلك الصراحة التي يجب أن تكون صادرة عن قلب مؤمن بها إذ لا قيمة اجتماعية او فنية للشاعر وشعره إذا كانت افكاره غير واعية لواقعه أو غير منبثقة عن قلب متحمس لها متحسس بها، ساع لتحقيقها. ناذر وجوده من أجلها:

بلاغة (سحبان) وراء لسانه وابلغ منه قلب (سحبان وائل)

فبعض نقاد الادب يحاول ان يفصل بين شخصية الاديب الاجتماعية من حيث هو عضو اجتماعي يتأثر بما حوله من مؤثرات خارجية تظهر اصداؤها في استجابات مختلفة قد تكون ايجابية حينا أو سلبية حينا آخر وبين شخصيته الادبية الفنية المتمثلة في انتاجه الذي تلعب في خلقه تجارب واستجابات عديدة منها العامة ومنها الخاصة. فهم عندما يقيمون انتاج اديب من الادباء انما ينظرون إليه من الزاوية الادبية الفنية الخالصة المتجردة عن الشخصية الاجتماعية وبذلك فانهم بناء على هذا المقياس الأدبي يغفرون لفلان من الشعراء نفاقه الاجتماعي او تزلفه ويعذرون فلانا من الادباء تبجحه وكذبه وتكسبيته التي قد تصل إلى حد الارتزاق في بعض الاحيان. فادباء المناسبات ـ وما اكثرها ـ إذا اجادوا في مدحهم اوفي مبالغتهم أو قل في كذبهم الادبي حسب المقاييس الادبية المتعارف عليها انما هم أدباء من الدرجة الأولى، بل ومن بيض الوجوه أيضاً، اما مدى ايمانهم بفكرة تلك المناسبة، ومدى صدق ذلك الايمان فأمر ليس بالحسبان في نظر هذا الفريق من النقاد لذلك نرى ان شهرة ادباء المناسبات سريعة الانتشار وسريعة النسيان على حد سواء إلا إذا كان ذلك الاديب مؤمنا بفكرته ملتزما باخلاقية الاديب الانسان تلك الاخلاقية التي تسمو بانتاج الاديب إلى مستوى الفن الرفيع بكل ما في هذه الكلمة من معنى. فأساس كل فن من فنون الحياة ومنها الادب هو تدخل الارادة الانسانية وقدرة الفنان على الابداع والابتداع.

فالشعر كفن لا يحاول بهذا المفهوم ان ينفس عن عاطفة عابرة فحسب بل يحاول أن يسبر غورها ويعيش جوها ويؤديها في نوع من الأداء كفيل بأن ينفعل به صاحبه وسامعه حيث يظهر صدق الشاعر وعمق اصالته ونضج تجربته الانسانية تلك التجربة التي تضفي على شخصيته الاجتماعية شخصية ادبية صادقة أخرى.. والشبيبي مثل حي للاديب الاخلاقي الفنان الذي جمع بين عنصر الصدق في التعبير عن افكاره ومشاعره وبين الاصالة الفنية لذلك التعبير. وامامك وطنياته وهي قصائد حماسية نظمها في مناسبات كثيرة وهي بالاضافة إلى قيمتها الفنية الرفيعة تتمتع بقيمة تأريخية سياسية إذ انها سجلت خواطر وانفعالات وآراء انسان خبر مرحلة مهمة من مراحل تأريخ العراق السياسي وعاش تياراتها المتضاربة وشارك في تقويم الصالح منها داعيا إلى الحق بلسانه مضحيا بنفسه من اجل عقيدته السمحاء.

فحماسيات الشبيبي يمكن اعتبارها مصدرا من مصادر تأريخ العراق المعاصر منذ سنة ١٩٠٨ وهي حماسيات مفعمة بالشعور الوطني والقومي فلم تعبر عن واقع العراق فحسب بل عبرت عن آلام العرب وآمالهم في التحرر والاستقلال، كيف لا؟ والبلاد العربية يومئذ كانت

تعاني مرارة الحياة فشعورها الوطني مستقطب حول فكرة الاستقلال والانطلاق فقد نظم اكثر شعرائها في موضوع الحماسة والوطنية وضربوا على اوتار متشابهة ولا غرابة في ذلك فقد ألف بينهم النغم حين ألف بينهم الجرح والتقوا على اشجانه فتفانوا في تصوير المأساة وبرعوا في تجسيدها بفيض من المشاعر التي يهتز لها قلب السامع وتهفو لنبراتها وحروفها أمة عانت ما عانت من الوان الجور والحرمان وقاست ما قاست من صنوف التعذيب والتشريد فتبلورت مشاعرها في كلمة جريح انتظمت مع أخرى صبور فولدت القصيدة الحماسية في الشرق العربي تحكي قصة أمة مكافحة مناضلة من أجل مبدأ انساني نادت به عبر سنين طويلة جرفته تيارات متضاربة وعصفت به هزات عاتية حتى استقر بها المطاف حرة مستقلة تبني لها حاضرا كريما يذكرها بحضارتها التليدة وكيانها التأريخي المجيد مستوحية منه مصدر قوتها في مستقبلها المنشود. وحماسيات الشبيبي جزء من هذه الدعوة البطولية التي يعتز بها كل عراقي لأنها صورته احسن تصوير مدافعة عن مبدأ المواطنة الصالحة أعنف دفاع في أدق ظرف وأقسى تجربة مرت به مكافحا منافحا عن حقه في الحياة، فهي قصائد لم تصدر عن تجربة عابرة بل فيها سحر خاص يجتذب شعور السامع؛ لأن مبدعها أحس بنفسه عضة الالم، أقول فيها واقعية حماسية منبثقة عن قلب وعاها واستوعبها وعقل مفكر رعاها واحتضنها وواقعيتها تذكرنا برأي (هوراس) وهو يتحدث عن طبيعة القصيدة الواقعية في تجاربها ولغة تعبيرها فيقول: (ليس بكاف ان تكون القصائد جميلة، بل ينبغي ان يكون لها سحر فتجتذب شعور السامع اينما شاءت.. من طبيعة البشر انهم يهشون للوجه الضحوك، كما ان بكاء الباكين يحز فيهم... ان انت اردت استدرار دموعي وجب أن تحس بنفسك عضة الالم اولا، وعندئذ فقط تحزنني مصائبك. فإذا كان الدور الذي ستؤديه لا يناسبك فلسوف اضحك او اتاءب، فالوجه الأسيف تناسبه الكلمات الحزينة. والوجه الغاضب تلائمه الالفاظ الحانقة والنكات تلائم الوجه المتهلل، فالطبيعة من المبدأ قد صاغت اروحنا بحيث تهتز للمؤثرات الخارجية، تفرحنا أو توقّط فينا شعور الغضب أو تعذبنا وتحنينا إلى الأرض تحت عبء الاحزان، ثم تفصح لنا، واللسان في هذا ترجمانها عن مشاعر القلب[1]).

تكاد وطنيات الشبيبي او حماسياته تتشابه من حيث الفحوى العام الذي ينتظم اجزاءها فهي زاخرة بالروح الوطنية ناقمة على التقاليد الجامدة متطلعة إلى الحرية تواقة إلى النور، فهي في الواقع صرخات مدوية من اعماق نفس مخلصة. ففي اول حماسية يصف الشبيبي الشرق

(١) هوراس، فن الشعر، ترجمة لويس عوض، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٧، ص ٧٦.

التائه الذي اثقلت كاهله الاوهام ومزقت شمله النكبات وشوهت صفاءه العبودية بكابوسها المظلم حتى ان شمسه الوهاجة قد فارقت اشراقها وأفل نجمه بعد أن كانت الشمس تلهو على مرابعه الخضر وكان القمر يداعب لياليه. فتفشى الضلال في اوصاله وتسرب الانحلال إلى عروقه وشرايينه حتى بات منتحبا يعاني مرارة البلوى وقسوة الايام ومع ان لهجة المرحوم الشبيبي حزينة باكية إلا انها دفقة ألم وزفرة ثائر فيها تفاؤلية وحث للهمم والتوحيد للجهود من اجل الغاية المنشودة التي يسعى الشرق العربي آنئذ إلى تحقيقها:

يا مشرق الشمس المنيرة انها ـ وأبيك ـ شمس فارقت اشراقَها
اما لياليك التي قد اقمرتْ فلقد طوتْ لك محوها ومحاقها
فاقت وبذْتَ امة غربية من بذها في المشرقين وفاقها
وإذا أراد الله رقدة أمة ـ حتى تضيع ـ أضاعها اخلاقها
ملك الضلال زمامها فإذا حبت أو أمسكت سبب المعالي عاقها
رأت العدالة لا تروق لعينها فتلمست في الليل ظلما راقها
عجلت على البلوى فساقت نفسها للموت او عجل البلاء فساقها

أما الاشارة إلى الفتن والاحن والحروب الداخلية ووصف وتصوير خيبة الآمال التي مني بها العراق فأمر ظاهر في حماسياته، فأنت لو قرأت حماسيته (في العراق) والتي نظمها في سنة ١٩١٢ لوجدت فيها الشبيبي الناقم على التفسخ والفساد في وطنه الحبيب، المتذمر من سير الشؤون العامة وتذمره انما هو تذمر الاحرار المخلصين ونقمته انما هي نقمة الثوار المتفانين من أجل المبدأ الصادق والدعوة النبيلة، فغضبته ثورة من وحي المآسي التي عاشها العراق فأبت نفسه الطيبة ان تخضع لها فما عرفت الذل والهوان، فالجهالة العمياء والخرافة السوداء كانت قد سيطرت على العراق مهد الحاضرة ومولد النور منذ أقدم العصور. والشبيبي الناقم لا يكتفي بوصف الدواء الناجع لعراقه العليل بجهله وتأخره ورقاده الطويل حتى كأنه في سبات مظلم عميق قد اطبق عليه من شتى الجهات بيد أن قوافي الشبيبي تسعى بكل طاقاتها وحيويتها إلى تبديد الظلام وتمزيق سجفه التي عشش فيها اليأس واستقر في زواياها القنوط والجهل فاسمع صرخته الحماسية المعبرة في بائيته الرائعة التي كشف فيها عواطف نفسه الثائرة وسكب فيها مشاعره في كلمات وحروف تبقى تذكرنا ببطولته ووطنيته الخالصة:

جنيتُ شبابي في بلادي كما جنتْ على القلب أهوال البلاد فشابا

النتُ بها جنب الخطـوب شـدائدا وساهلت وقـع الحادثـات صـعابا
فـثقفن اضـلاعي وكـن حوانيـا وعاجمن اعـوادي وكـن صـلابا
وصاحبت مـن لا يفتـأون أعاديـا وراضيت من لا يبرحون غـضابا
بـأي كتـاب أم بأيـة سـنة يبيحـون ظلمـي سـنة وكتابـا؟
إلى م أجوب القطر سـال جهالـةً ومـاج تقاليـدا وفـاض خرابـا؟
تداعتْ رحـالي أوبـةً وانـصرافةً وكلـتْ ركـابي جيئـة وذهابـا
سمعتُ به صوت الرقي وأوجـستْ به النفس من أعلى (فروق) خطابـا
اخـذناه تغريـدا فـرد بـه البكـا علـى اثـر ارزاء العـراق نعابـا
فيالك صـوتا كـان طـائر يمنـه يـردد ورقـاء فـرد غرابـا
هنـاك تاملـتُ الـديار مـواثلاً تغـورن انـشازا وضـقن رحابـا
فأرسلت فـيهن الامـاني فأخفقـت وسـرحت فـيهن الرجـاء فخابـا
وقفت عليها أنكتُ الأرض واجمـا وأضرب في خذ الـصعيد مرابـا
لصـعد انفاسـي بهـن لوافحـا وانـدب أجفـاني لهـن سـحابا
فلم اتـنفس زفـرةً بـل حُـشاشةً ولم أبك دمعـا بـل بكيـتُ شـبابا

❖❖❖

فقولا لبانـاتُ العـراق التـي ذوتْ وصَـوّح مـنهنَّ العـراق جنابـا
سأشدو عساها ان تعـود نواضـرا وابكـي عـساها ان تُـردَّ رطابـا
فكم خفقتْ فيهـا الـصبًا فتأرجـتْ ولاعبهـا سـاري النـسيم فطابـا

وتمتاز حماسيات الشبيبي أيضاً بكونها داعية إلى الاصلاح الاجتماعي المتمثل بالقول والعمل فهو يتمنى أن يرى الوجوه السفع (وجوها اقاضت نضرة ونعيما) ويريد أن تشع فيها (حياة غضة وطلاقة) ويلح عليها بأن تستفيق من نومها العميق واصفا رقادها بسبات أهل الكهف منددا بهذا الرقود ساخرا من هذا الجمود، متخذا من تأريخ العراق الفكري وحضارة الإسلام الكبرى مثلا حيا يستنهض به تلك الوجوه حاثا العراقيين على النهوض والثورة على الجهل والظلم من اجل بناء عراق جديد:

اعلل نفسي ان ارى القـوم ادلجـوا وجيفـاً إلـى غايـاتهم ورسـيما

ولمـــا تبينـــتُ الزمـــان وأهلـــه ضـــربت بكفـــي حيـــرة ووجومـــا
ظننتُ مشوبا من رأيـت مخلـصا وخلت مصابا من وجـدتُ سـليما
إلا نظـــرة للـــدارجات عهـــودُهم لنـــشهد آدابـــا لهـــم وعلومـــا
هلمـــا نحيـــيهم رُفاتـــا رميمـــة ولكن متـى حيـا الـرميم رميمـا
متى ايها السفعُ الوجـوه ارى لكـم وجوها افاضـتْ نـضرة ونعيمـا
تـــشع حيـــاة غـــضة وطلاقـــة وتـــشبع نـــورا رَيِّقـــا ونـــسيما
ويا نوْما عن عـالمٍ لـم تـنمْ بـه خطوب ولـم ترفـق بنـا لتنيمـا
سبات رقـود الكهـف احييتمـوهم وجـددتم كهفـا لهـم ورقيمـا
فموتوا ظمـاء حلأتكـم جـدودُكم عن الـوِرْد إلا ان يكـون حميمـا
وما المـوتُ إلا صـحة معنويـة لمن شاء ان يقضي الحيـاة سـقيما

اما الميزة الفنية الاخرى لحماسيات الشيبي فهي وصفها للحرب.

فالحرب مادة القصائد الحماسية في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي. فأغلب حماسيات الشعر الجاهلي كانت تخلقها وتغذيها الحروب الكثيرة بين القبائل العربية المتقاتلة فيما بينها حبا في الزعامة أو ضمانا لسد حاجاتها الاقتصادية في بيئة قاحلة جرداء. وايام العرب في الجاهلية تلقي ضوءاً كثيفاً على مكانة الحرب في القصيدة الحماسية الجاهلية وبراعتها في تصوير العصبية القبلية وهي الحمى التي تسري في عروق البدوي ودمه وإذا انتقلنا إلى شعر الفتوحات الإسلامية لوجدنا الحرب مصدرا مهما من مصادر الهامها وخلقها الفني إلا ان مفهوم الحرب في الحماسية الإسلامية بدأ يتغير عن مفهومها في الحماسية الجاهلية فبعد أن كانت الحرب في الجاهلية تنشب نتيجة للنزاع على بئر أو واحة أو استرجاع ابل مسروقة أو مفقودة أو امتلاك كلأ أو مرعى أو منافسة بين قوتين متعادلتين متكافئتين تتنازعات السيادة أو الزعامة اصبحت الحرب في الحماسية الإسلامية تعني وسيلة لنشر مبدأ التوحيد وهي وسيلة تمتاز بالتسامح الانساني أي انها حرب تدعو إلى نشر مبادئ سامية ومثل عليها نزل بها القرآن الكريم لخير بني الانسان واسعاده فبعد أن كانت الحرب في الجاهلية تنشب بين قبيلتين عربيتين متناحرتين اصبحت في الإسلام بين مؤمنين بالله ورسالة الإسلام وبين مشركين جاحدين ومنكرين لهذه الرسالة ومبادئها.. اما في العصر الاموي فقد تغير مفهوم الحرب في القصيدة الحماسية نتيجة للصراع السياسي بين الاحزاب السياسية واختلاف طبيعة نظام الحكم السياسي فالقصيدة

الحماسية في العصر الأموي تضمنت وصف الحرب السياسية إذا جاز التعبير وجاء العصر العباسي فارتفع المتنبي بهذا الفن ـ وصف الحرب ـ إلى المستوى الرفيع في سيفياته التي صور فيها الحروب الكثيرة التي خاضها سيف الدولة فسيفيات المتنبي يمكن ان نعتبرها من شعر الحماسة إلا انها على مستوى فردي ولانها مدح خاص بأمير جدير بمثل ذلك المدح لا يخلو من اشارات حماسية عامة. ثم سقطت بغداد وبدأت الفترة المظلمة فأخذ مفهوم الحرب في القصيدة الحماسية يأخذ شكلا ومعنى جديدين. فاصبح دعوة إلى الثورة على الباغين والظالمين من اصحاب السلطة إلى ان بدأ عصر النهضة يتنفس فاصبحت الحرب من خصائص القصيدة الحماسية التي تدعو إلى الثورة من اجل الحرية والاستقلال فهي حرب عادلة ما دامت تطالب بحقوق مهضومة واسترجاع حق طبيعي سليب كما جاءت على لسان الشبيبي في اغلب حماسياته التي نظمت في الحرب فصورتها على حقيقتها القاسية.

فحماسياته (طلائع الحرب العامة) (من الحرب إلى الحرب) (درس آلام) (الوداع) (ثورة على الاتراك) (يوم المدائن وتل السور) (الشرق الناهض) وهي الحماسية التي نظمها اثر ثورة الدروز عل الحكم الفرنسي سنة ١٩١٨.

و(يوم الشعيبة وهو اشهر ايام الحرب العراقية ان لم يكن اعظمها في نظر العراقيين) و(الحرية والشعر) تشهد بطول باع الشبيبي في حلبات النضال وصبره في الكفاح الوقاد متنقلا من مكان إلى مكان، مبشرا بالدعوة الوطنية من اجل الاستقلال، منددا بعهود الظلم والظلام فالحرب (شوهاء فوهاء) احرقت الحرث والنسل ولكنها مصدر البطولة والالهام الذي يدفع بصاحبها إلى نيل هدفه فأسنة الحراب والاستشهاد في سبيل المبدأ والعقيدة مثل سامية لابد ان تحتل مكانتها في عالم النور والواقع الذي لا يؤمن بغيرها بديلا في مثل تلك الظروف القاسية والاحداث الرهيبة.

فالشبيبي يندد بالحرب ويقبحها؛ لأنها مصدر خراب للملايين من بني البشر فقلبه الطيب الكبير وعواطفه الرحيمة لا تقبل غير الوئام والطمأنينة والسلام حلا لمشاكل بني الإنسان ولكنها بالرغم من ذلك مصدر البطولة واثبات الذات واحقاق الحق من اجل تحقيق العدالة والمساواة بين الناس لا سيما إذا كانت ضد ظالم عات ومتجبر قاس:

مكشرة شوهاء فوهاء انشبت ... بنا وبأهل الأرض انيابها الدردا
فكنت إذا اطلقت طائر نظرة ... لنكفيها احشاءنا استعرت وقدا
لظى نضجت فيها الجلود وعاذر ... بجاحمها أن ينضج القلب لا الجلدا

فلا حرها يطفا ولا هو يتقى ولا نارها كانت سلاما ولا بردا
هي الحرب ما شبت أداة رديئة والقاحها في غير منفعة أردى

ويعرج الشبيبي على نقد الاوضاع الداخلية في العراق وكيف ان البلاد لقيت الوان التعسف والجور من قبل ساستها الذين سخروا بمقدرات الناس وتاجروا بمثلهم وافقروا الامة واجاعوها على حساب ثرائهم وتبجحهم وغرورهم وشهواتهم فاسمع صرخته الثائرة بروحه الصادقة تنهد مطالبة بصراحتها المعروفة باعلاء شأن الحق واصلاح الامة:

ألا مدرك هذي البلاد وأهلها فقد لقيت من جور ساستها جهدا
تفرّغ ايدينا لتملأ جيبها وتنهكنا جوعا لنشبعها حمدا
شرائع سنتها الجماعة غيرة من الفرد اشقين الجماعة والفردا
يحاول ابناء البلى نظم شملهم وما انتظموا شملا بل انتثروا عقدا
خلقنا لأن نبلى، ألم تر اننا نكاد لطول الخلد ان نسام الخلدا؟
وقيل تقاربنا وها نحن جيرة ولما بدا الصبح انثى قربنا بعدا
أما يضحك الوحش الشوارد حملُنا على بعضنا ما ليس تحمله حقدا؟

أما الإحساس بالعروبة كدافع من دوافع القصيدة الحماسية في الادب العربي فظاهرة فنية واضحة في حماسيات الشبيبي، فطيب المولد عنوان مرسوم على جبين الطفل العربي واخلاقه الموروثة مثال للانسان النبيل، فهم اصحاب اباء وشمم واصحاب بطش وبأس إذا ما اعتدى عليهم ولا يتناسى الشبيبي مفهوم الحضارة العصرية. فهي حضارة خلاقة وجدت من اجل الانسان تدافع عن حقوقه وتسعى جاهدة إلى تطوره وبناء حاضره على اسس اخلاقية فاضلة فهي ليست بالحضارة التي (يعمى بها البصير ويضل فيها المهتدى):

لنا دعونا العصر عصر تقهقرٍ فليدعَ عصرَ تقدم وتجدُّدِ
ماذا يرجى من وراء حضارة عمي البصيرُ بها وضل المهتدي
وجدتُ فاعدمتِ النفوسَ فضائلا خُلقت لها فكأنها لم توجد

* * *

عرب على قسمات وجه وليدهم متبين عنوان طيب المولد
لا يطرقون الماء شيب نميره وغدا مخاضة رائح أو مغتدي

وإذا الـذئاب وردن مـاء حُرمـتْ أسد الشرى غـشيان ذاك المـورد
وإذا اعتدى الباغي على اوطـانهم بطشوا به واروه عقبـى المعتـدي

اما احساسه بمآسي العراق وتفاقم النعرات الحزينة السياسية فيه وما جرت من ويلات وانتكاسات فله صداه في قلب الشبيبي الثائر وفي حماسياته حتى لا تكاد تخلو واحدة منها صراحة او مجازا من تصوير تلك المآسي المريرة.. مسكين عراق الامس فقد تعسف بك قوم هموم المساومة بحقوقك والمتاجرة بأرضك حتى عاد وطنيك غريبا وغريبك وطنيا:

تعسف قـوم بـالعراق وسـاوموا على وطن ـ ما سيم يوما ـ بأثمانِ
هـم احتقبـوا الأوزار يقترفونهـا وقالوا: جنى عمدا وماهو بالجـاني
هم اسـتعجلوا اللـذات ينتهبونهـا وهم بدلوا بالجوهر العرض الفـاني
وقد تنكر الحـر العراقـي ارضُـهُ فيناى ليدنو منه من لـيس بالـداني

وتتوهج انفعالات الشبيبي وهو يرى عراقه الحبيب مهيض الجناح تحدوه رنة حزينة باكية ويخيم عليه الأسى فيناجي الرافدين بكلماته الدافئة المعبرة واجدا في تلك النجوى راحة نفسية فخرير دجلة والفرات (وت حزين وعبرة مستهلة) فيستنهض الهمم متحديا قيود الجهل والضلال ساخرا بالجمود ناقما على الذل والهوان:

يـا خليلـي ان تـشاءا اسـعداني في شـجوني فالخـل يـسعد خلـه
عللانـي بـذكر نهـضة قـومي قبـل ألا أرى لقلبـي تعلـه
ايـن ذاك العـراق؟ ايـن بنـوه؟ ليـتهم أبـصروا العـراق وأهلـه
عمـروه مـن كـل أفـرع سـام يستفئ السارون في الـشمس ظلـه
أديـار؟ لا بـل مكـامن أسـد ورجـال؟ لا بـل ليـوث مدلـه
أو لم تكـف علـة الفقـر قـومي فاسـتزادوا مـن الجهالـة علّـه؟
مخطئ من يزيد في الـسيف كـلا ثلمة أو يزيـد فـي الطـين بلّـه
آه لو متلوا لـي الجهـل شخـصا وتقاضـوا الـيّ حلّلـت قتلـه

❖ ❖ ❖

يا مـاء دجلـة عـذبا فـي مـوارده لأنـت فـي كبـد الفـلاح يحمـومُ

الفقـــر فيـــك مـــذودٌ وهـــو مفتقـــر والبحر منك مجـود وهـو محـروم
الظلم ينفيك عـن اهليـك مـضطهدا أأنت أم كـل مـاء الأرض مظلـوم؟
ناديت قومي وحـقَ القـوم مغتـصب وصحت: شعبي وحق الشعب مهضوم
مالي أرى الأرض جنات، وارضـكم ـ يا أمة الخيـر ـ مومـاةٌ وديمـوم
لادعـوكم وغـروبُ العـين داميـة واسـتثير وجنـب القلـب مكلـوم
محيـرون قـد اسـتهوى عقـولكم جهلٌ، وبعض ضروب الجهل (تتـويم)

هذه صفحة مشرقة من حياة الشبيبي الخالدة التي صيرته رمزا للبطولة العراقية فسيذكره العراق وتأريخه علما من اعلامه الذين كافحوا وناضلوا من اجل حريته واستقلاله فقد رسم بريشته المرهفة الحس ذات المسحة العباسية واقع العراق بالوانه المختلفة حتى ليجد العراقي في شعر الشبيبي حياته وواقعه يتحدث إليه ويدفعه دائما إلى بناء عراق فاضل يتمتع بكيان مستقل وبروحية وطنية وقادة فحماسيات الشبيبي ستبقى مرجعا لطلاب الأدب والفن ومصدرا معينا من مصادر الوطنية الحقة لا ينضب، فعقله الراجح ونظراته الثاقبة وعاطفته السامية ونضاله الصادق الشريف تكمن في كل حرف من حروفه وتعيش في شرايين واوردة كلماته.. إلا بوركت حروفه الصادقة وكلماته الامينة؛ لأنها منتزعة من اعماق نفس ثائرة معبرة عن مشاعر قلب كبير رحيم يهوى الخير لكل العالمين.

الشبيبي الشاعر

الاستاذ مرتضى فرج الله*

نفسيته ـ شخصيته ـ الشبيبي في شعره ـ اسلوبه والنغمة ـ الموسيقية ـ الذوق في شعره رأيه في الشعر ـ نزعاته الشعرية ـ الخلاصة

ان للنفوس المترنمة بترانيم المعرفة والقوة صدى يملأ الاسماع فينفذ إلى اعمق اعماقها ويخترق ستار الارواح فيندمج في كيانها ويشع نوراً في حيزها الخفي إذ ان نفسية الشاعر شاعر الروح والالهام هي تلك النفسية القوية التي تردد نشيد الحق والجمال، حيث تهوى وتعشق وحيث تشاء وترغب، ملذة بانغامها مصغية إلى نبراتها الحلوة المتنافسة.

ونفسية شاعرنا الشبيبي الذي نتحدث عنه الآن هي من تلك النفسيات التي بشرت بالموهبة والقوة فهي مشعة بنورها الملتهب تهدي إلى المعرفة والحكمة.

شخصية الشبيبي

قرأت الشبيبي في آثاره، وقرأته في شخصه، فرأيت تناسباً في الكيان، لا يمكنك ان تفصل أي ناحيتيه مع كل محاولة وجهد. لقد رأيته خطيباً في احد المحافل ورأيته جالساً مفكراً في بعض خلواته، وحكيما مترسلاً في حديثه يلقي حكماً وعبراً بين جماعة من الشباب. فمثل لي الاختبار الطويل والجهد، والعناية بالنفس فكان اعجابي يتضاعف امام شخصيته الساحرة، المؤثرة في صحتها وحديثها، في سكونها وحركها. كأنها هيكل من الحكمة.

الشبيبي في شعره

للشبيبي روح شاعرة تغازلها الميول والعواطف ولكنها جبارة مؤمنة بالحكمة موقنة بالمثل الأعلى. هي تساير العاطفة وتسمنها، فلا تخضع خضوعاً اعمى فتشذ وتهبط لسفاسف الحياة ورذائلها ـ كبعض الشعراء ـ نعم هي تسمو باحلامها وتثور ولكنها كالموج العميق. لا كالزبد..

---

* أديب نجفي، شاعر وطني مبدع (ت١٤٠٤هـ).

عن: مجلة الغري النجفية س٢ ع٧٤ـ٧٨ لسنة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م.

ليس هو بالمتبذل الذي تهمه الشهرة بالاكثار ولا يوقف نظره شيء ليس له قيمة ولا تسترعي خياله صور لا ترمز إلى حقيقة تأخذ حيزها في الاذهان. وكما يقول عنه صاحب كتاب الأدب العصري: (... والمعروف عنه انه قلما ينصرف إلى نظمه الشعر إلا متأثراً فتجيء قصائده حينذاك صورة حساسة حية تعبر عن وثبات النفس ونزعاته السامية).

اسلوبه والنغمة الموسيقية

اسلوبه رصين متلابس الالفاظ والمعاني. متأثر بالفصاحة والبلاغة. وهناك رنة موسيقية تتميز في أول بيت تقرأه ويصل إلى ذهنك؛ فقد تكون الرنة الموسيقية خفية في ابيات الشاعر حتى تلحن او ينطق بها الشبيبي فالنغمة الموسيقية في شعره هي تحكي نفسها للقارئ، إذ هو مبدع متفوق في انتقاء الالفاظ للمعنى. وإتمام النبرة الموسيقية؛ واليك مثالاً في قصيدته (دمشق وبغداد) قال:

ساعتْ وقائعُها وما سرت بها ... لا الهجرة الأولى ولا الميلادُ
بردى واودية الفرات وجلق ... والنيل غص بمائه الأزباد

منها:

نبأ بأعلى قاسيون تجاوبت ... لدويُه الاغوار والانجاد
واصاب بحر الروم حتى عبَّرتْ ... عن شجوه الامواج والاوتاد

منها:

يا راكبين إلى دمشق تزودوا ... منّي السلام لكل ركب زاد

منها:

هل في مروج الغوطتين لاهلها ... ولرائديها مربع ومراد
وهل الربى حال ضواف طرزت ... وطرازها الازهار والاوراد

منها:

أو ما تزال على معاهد جلّق ... ترد الضيوف وتصدر الوراد
غدت العواصم خطة مغزوة ... لا الخيل تعجمها ولا الاجناد
لا آل حمدان ولا أيامهم ... فيها لهاتيك الثغور سداد

خنـــا ذمـــام الفـــاتحين وعهـــدهم ... مـــا هكـــذا تـــستنجب الاولاد
انا بما نجنـــي وهـــم فيمـــا جنـــوا ... بـــئس البنـــون ونعمـــت الاجـــداد

منها:

هل في غياض الدرد نيل مجـــاوب ... انْ صِـــحْتَ لـــمْ لا تـــزأر الآســـاد
خرس المقـــاول نـــاطقون دهـــاهم ... ريـــبُ الزمـــان وغيْـــبُ اشـــهاد

بربك فتش والحظ كل شطر وكل كلمة هل ترى حشواً او لفظاً سمجاً مبتذلاً. وهل ترى تكلفاً واضطراراً انما ترى عاطفة تنحدر بالشعور القومي كالجدول الصافي المنحدر بقوة. لا اقول ان معانيه مخترعة اختراعاً تصويرياً عالياً ولكني اقول ان الشبيبي في قدير على تنظيم افكاره تنظيماً متقناً في اللفظ والمعنى وهو مجيد في كليهما أما انا فاعشق لفظه وصياغته قبل معانيه.

الذوق في شعره

وفي شعره ميزة لا تدرك إلا بالحس الدقيق تعجز ان رمت تسميتها، هي فوق عذوبة اسلوبه، هي فوق نقاوة الفاظه، هي فوق الابداع بتخيلاته القوية، إلا وهي حلاوة في اشعاره. ممزوجة في جميع مقومات ابياته وهاك أبياتاً تدلك على ذلك:

بي مثلُ مـــا بـــك ايهـــا المتـــرنمُ ... زدنـــي فانـــت الـــشاعر المتـــألمُ
يا حائماً فوق الغـــصون ومـــا درى ... وقعـــت علـــيهن النفـــوس الحُـــوَّم
ومتيمـــاً ســـكن الاراك محلـــة ... انـــا فـــي الاراك ومـــاكنيه متـــيم
انعـــم بمربعـــك الاغـــرّ معيـــشة ... تصحو فتـــصدح او تنـــام فـــتحلم
ولأنـــت انـــت دفعتنـــي لهـــواجس ... مثلّن احبـــابي فقلـــت همـــو همـــو
ومن العجائب ان مـــا تتلـــوه لـــي ... سرعان افهـــم منـــه مـــا لا تفهـــم
اين اســـتقل بـــك الغـــرام محبُّـــةً ... واخـــال انـــك بالطبيعـــة مغـــرم

وفي قصيدة أخرى:

تـــذكرت عاطفـــة المغـــرمينَ ... فجـــاورت منعطـــف الجـــدولِ
وآلمنـــــي مجتلـــــى وردة ... تكـــاد تـــذيب حـــشا المبتلـــي

ابخـــل الطبيعـــة أودى بهـــا وحاشـــا الطبيعـــة لـــم تبخـــل
ســـتعطفها بعـــد اهمالهـــا يـــد المـــوت كالولـــد المهمـــل
حـــسدت الزهـــور لأن الزهـــور كـــاخوان جامعـــة مثّـــل
ويـــا للمـــودة بـــين الغـــصون إذا مـــا جـــرى نفـــسُ الـــشّمأل
فهـــذا يقـــول لـــذاك اعتنـــق وذاك يقـــول لـــذا قبّـــل

❖ ❖ ❖

هذه هي الحلاوة الساحرة الفاتنة. هو هذا النغم الشجي يتدفق به شعور الشاعر فيغمرك حتى تخال بان روحه يصبها في روحك، وتهت بامر عجيب.

رأيه في الشعر

قوة في ذاتها تتكلم فتعبر عن نفسها بنفسها، يستوي فيها الاعجم إلى صف الفصيح وكل شيء في الحياة والطبيعة يعبر عن شعوره باطوار.

الشعر شـيء نـاطق فـي ذاتـه او قـوة فـي نفـسها تـتكلم
ولربمـا روت الطبيعـة شـعرها خرسـاء لا ثغـر هنـاك ولا فـم

هو اثر المحبة والمحبة هي كل شيء فكل شيء ينطق عن المحبة.

لـولا انفـراد احبتـي بخـصالهم ما سار لي في الدهر بيـت مفـرد
مـا جـود الـشعراء قـط وإنمـا اثر المحبـة فـي الـسرائر جيـد

نزعاته الشعرية

تتمثل في اكثر شعر الشبيبي نزعتان لا تكاد تخلو أي قصائده منها بل يكاد يجيد بغيرهما.

الأولى ـ هي الروح العرفانية المعبرة عن ـ الحب والحكمة ـ الناطقة بالاغاريد الروحية وهو رجل الفن في تمثيل تلك العواطف التي طالما تكون آراء عرفانية تحكي آراءه في بعض الحقائق الروحية الفلسفية واليك بعض الاغاريد الموله بها الشاعر:

شغل الـسمير جـوارحي وشـغلتم روحـي فكنـتم دونـه سـمّارَها
أنّى تهـشُ إلـى حـديث محـدث روح تكاشـف مـثلكم اسـرارها

ما شـأن جثمـاني ومـا اوطـاره الـنفس بالغـة بكـم لوطارهـا

بل هو مشغوف باغاني الروح ولشدة شغفه ينهى اللسان عن ذكرها فلربما لا يمثل اللسان القلب.

عيَ اللسان لأن روحك وقعتْ الحانها وتناشدتْ اشعارَها

وقوله عن الحب الروحي:

قضية بقياس الروح موجبةٌ وللنهى جنبنا سلبٌ وإيجابُ

وقوله:

لم تهو طائفة ابدانها اتصلتْ ان الهوى صلةٌ ما بين ارواحِ

وقوله:

دواوين هذا الشعر تغني وللهوى هوى الروح ديوان من الشعر خالد

وإنما يترنم الشاعر بالحب الروحي؛ لأن غرضه اسمى من هذه التوافه المادية التي تعدو وراءها النفوس الشرهة الضعيفة، فمذهب الجمال والحقيقة الخالدة التي يقول فيها:

تنبت اليك الـنفس عـن شـهواتها وجاهدتها ما حبّ مـن لا يجاهـدُ
كثيـر محبـوك الـذين تجلـدوا واما الذي جـارى هـواك فواحـد

وقال:

لا خيـر فـيمن خَـدَّرتْ شـهواتهُ أعـصابَهُ فهـو الأصـمُ الابكـمُ
ماتـت مـشاعره فلـيس بواجـد ألـم الـصبابة والـصبابة تـؤلمُ

فهل يجهل غرض الشاعر بعد هذا..

ـ والنزعة الثانية ـ التي تتميز في شعره. هي الفكرة القومية الوطنية فالشبيبي يحمل بين جوانحه نفساً ملتهبة حماساً قومياً وغيرة عربية، فهو ينعى قوميته الضائعة وأمته المشتتة الفقيرة، وهو مجاهد في سبيل احيائها وإنشائها:

لولا التفكرُ فـي مـصير بلادكـم تـالله مـا ضـاقت علـي بـلادُ

إنـــي ابيـــت لاجلهـــا مـــتململاً قلـــق الوســـاد ومـــا لـــدي وســـاد
اضدادكم متـــساندون قـــد اجتنـــوا ثمـــر الوفـــاق وانـــتم اضـــداد

فنفسه طامحة عالية يجهدها التفكير في مصير أمته وقد عرف عن الشبيبي ذلك فهو الذي حمل رسالته وطاف في انحاء البلاد العربية داعياً إلى الوحدة وائتلاف الرأي مثيراً همم الشباب:

وعـــد الله بكـــم اوطـــانكمْ ولقـــد آن نجـــاز الموعـــدِ
انـــتم جيـــل جديـــد خلقـــوا لعـــصور مقـــبلات جـــدد
قـــدّموا الوحـــدة لا تفـــسخها نزعـــات الـــرأي والمعتقـــد

مذكراً بمجد العرب وقوتهم:

حـــددي عهـــد علـــي غازيـــا واعيـــدي مـــا لكـــا والنخبـــا

محرضاً على التمسك بالاخلاق العربية.

أخلاق الفتح والنصر، وشيم الذين غلبوا الامم أوجدوا الكيان.

صلة المـــشرق بالماضـــي اســـلمي لا تكـــوني ســـنداً منقطعـــا

الخلاصة:

ان الشبيبي شاعر، وشعره غنائي، هو صدى الانفعالات والحوادث التي تهز نفسه. وتبعث عبقريتها ويمتاز اسلوبه بالبلاغة والرنة الموسيقية، وحلاوة البيان واغراضه روحية اصلاحية، وهو يعد في هذا الدور من مجددي الادب العربي ورجال النهضة والحركة الفكرية.

الشبيبي مع ادباء لبنان في صيدا
من اليمين (الصف الاول): عبد السلام شهاب.احمد عارف الزين سليمان الظاهر. محمد رضا الشبيبي. الشيخ احمد رضا. توفيق عبد الله
(الصف الثاني):اديب الزين. حسين عبد الله. الدكتور عبد الله.

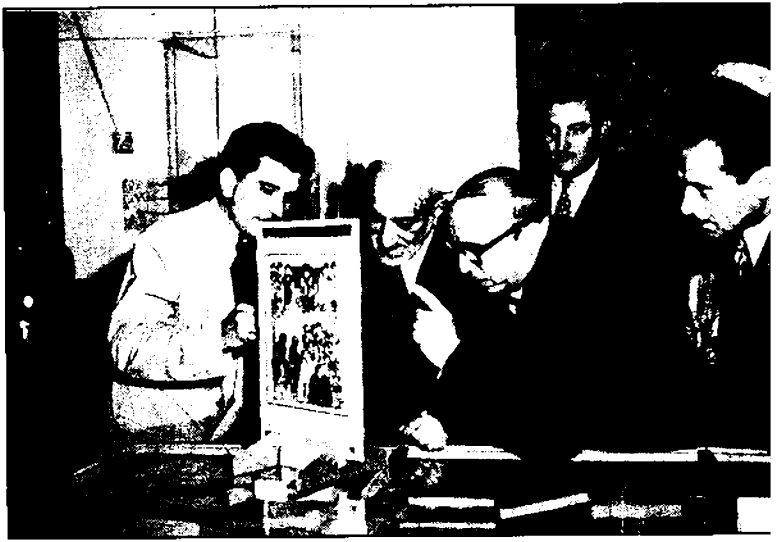

الشيخ الشبيبي والسيد منير القاضي وبجانبهما السيد علي درويش امين مكتبة الخلاني العامة
يشاهدون بعض المعروضات النادرة في يوم افتتاح معرض المكتبة

الشيخ محمّد رضا الشبيبي
والمؤسسات الثقافية

الأستاذ الدكتور: قصي سالم علوان الجلبي*

رغم انشغال المرحوم الشيخ الشبيبي بالعمل السياسي الذي أعطاه من جهده ووقته الكثير فان ذلك لم يصرفه عن المساهمة في الكثير من الشؤون الثقافية ومؤسساتها، فقد كان رجلا جم النشاط، متعدد الاهتمامات، له في كل مجال نصيب، حتى ليستغرب من رجل واحد أن يشارك في كل تلك المجالات ثم يكون له في كل منها مكان مرموق، وكأنه قد تفرغ له.

فقد كان شاعرا له منزلته بين شعراء العراق المعدودين، وقد كان معنيا باللغة العربية وتراثها، عمل في سبيل الحفاظ عليهما، ونشر كنوزهما ما عمل.

ولسنا هنا نريد أن نتحدث عن نتاجه الشعري أو اللغوي أو التراثي فلذلك مجال آخر، وإنما نريد أن نتحدث عن مشاركاته في الهيئات والمؤسسات الادبية والعلمية، تلك المشاركات التي تدل على فاعلية في تلك المجالات، من جهة، وعلى مكانته فيها، من جهة ثانية.

فعند اقامته في الشام سنة ١٩٢٠، بعد عودته من رحلته إلى الحجاز التي انتدبه لها العراقيون، كان أن دعا الملك فيصل طائفة من شعراء الشام وأدبائها، ونزلاء هذا البلد من الشعراء والادباء، مثل الشيخ فؤاد الخطيب وخير الدين الزركلي ويوسف حيدر وشفيق جبري لانشاء جمعية أدبية فكان الشيخ الشبيبي من ضمن هذه الطائفة المختارة.(١)

وعندما عاد إلى العراق، وأنشأت طائفة من أدباء النجف الاشرف ومثقفيه سنة ١٩٣٢ (منتدى النشر)(٢) تبنى الشبيبي فكرته منذ ولادته وسايره في مختلف أدواره حتى استطاع أن

---

* كاتب، ناقد، باحث في الأدب العربي، من أساتذة جامعة البصرة.

عن: مجلة البلاغ الكاظمية س٤ ع١ لسنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص٣٧ـ٤٤.

(١) شفيق جبري: أنا والشعر، ص ٤.

(٢) انظر عنه: عبد الهادي الفضلي: دليل النجف الأشرف، ص ١٠٢.

العلامة الشبيبي في حديث مع الاستاذ نجيب الراوي اثناء انعقاد احدى دورات مجمع اللغة العربية في القاهرة (عن مجلة الموسم)

الشيخ الشبيبي مع بعض زعماء العراق

يقوم بدور كبير في نشر الثقافة العلمية والادبية.[١]

كما قام بتشجيع (الرابطة العلمية الادبية) التي أنشأت قبله بثلاث سنوات، وفي النجف أيضاً، وكانت لها مساهماتها الفعالة في بعث الحركة العلمية الادبية في هذه المدينة[٢] فأهدى إليها مجموعة قيمة من الكتب، كانت أول هدية ثقافية تهدى إليها، ثم أجاب طلبها طبع ديوانه، كما يقول المرحوم الشاعر محمود الحبوبي[٣] أحد مؤسسي الراطبة (برحابة صدر ورغبة شديدة تشجيعا لمؤسستنا ومساهمة في نشر الثقافة والادب).[٤]

ووقت أن بدأت في العراق أول محاولة لتأسيس (مجمع علمي) وهي محاولة ثابت عبد النور في (المعهد العلمي) في بغداد سنة ١٩٢١[٥] كانت الهيأة المؤسسة تتألف من خمسة عشر عضواً، كان الشبيبي في طليعتهم.

وعند سنة ١٩٣٤ تقدم الشبيبي إلى الجهات المسؤولة مع جملة من الشعراء وحملة الاقلام منهم أخوه الشيخ محمد باقر الشبيبي والشيخ علي الشرقي ورفائيل بطي وابراهيم حلمي العمر وعباس العزاوي والدكتور فاضل الجمالي[٦] فأسسوا (نادي القلم العراقي)، واختير جميل صدقي الزهاوي رئيسا له[٧] ثم رأسه الشبيبي بعد وفاة الزهاوي ما يقارب عشرين سنة.[١]

---

(١) «الشبيبي رائد النهضة الأدبية في العراق»: محمد تقي الحكيم، مجلة «النجف» العدد ١٦ (تشرين الثاني ١٩٥٧) ص ١٦.

هذا.. وعندما زار المرحوم الشبيبي «منتدى النشر» في تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ حياه الشاعر السيد مصطفى جمال الدين بقصيدة رائعة بعنوان «تحية الشعر لرائده» استهلها بقوله:

رأك فاهتز يعطي الغيث ما وهبا ... يوم سكبت عليه أمسك الخصبا

أعطيته يوم كان الحقل منكمشاً ... جدبا وكان النهر النر منتهبا

وكنت في رادة ألقى شجاعتهم ... أن يدركوا الدرب لا أن يدركوا طلبا

مجلة النجف، العدد السابق، ص٢١.

(٢) انظر عنها: الفضلي: المرجع السابق، ص ١٠١.

(٣) «رجال عاصروا الشبيبي يتحدثون» تحقيق كتبه خالد الحلي في جريدة «المنار»، العدد ٣٥٧٣ (٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٦).

(٤) انظر: «قرار مجلس الرابطة العلمية الادبية» في «ديوان الشبيبي»، ص ز.

(٥) عبد الله الجبوري: المجمع العلمي العراقي ــ نشأته، أعضاؤه، أعماله، ص ٣١.

(٦) مجموعة نادي القلم العراقي، المجموعة الأولى: ص ٣٠٩.

(٧) المرجع السابق ص٧.

وفي سنة ١٩٤٧ ألفت وزارة المعارف هيأة قوامها أربعة من رجال العلم والفكر لتختار من ترى فيه الاهلية لعضوية (المجمع العلمي العراقي)، كان الشبيبي ضمن تلك الهيأة.[٢] وبعد أن تم اختيار العدد المطلوب من الاعضاء وقع الاختيار على الشبيبي ليكون رئيسا لأول مجمع علمي عراقي[٣] ولكن بعد ظهور تفسير للفقرة الثالثة من المادة الثلاثين من (القانون الاساسي العراقي)، وهو يحول دون الجمع بين الوزارة أو العضوية في المجلس التشريعي وبين عمل آخر من أعمال الدولة تخلى الشبيبي عن عضوية المجمع[٤] لكونه آنذاك عضوا في مجلس النواب.[٥]

وبعد حل هيأة المجمع ووضع قانون جديد له سنة ١٩٦٣ اختيرت لجنة قوامها عشرة أعضاء اختارت خمسة آخرين كان الشبيبي في طليعتهم. وما لبث أن انتخب مجدداً رئيساً للمجمع[٦] ولكنه رغب إلى زملائه باعفائه من منصب الرئاسة أكثر من مرة، فأصروا على رأيهم ولم يسعه إلا النزول على تلك الرغبة.[٧]

وقد أنشأ المجمع العلمي العراقي، والشبيبي في رئاسته، خزانة للكتب، وأصدر (مجلة المجمع العلمي العراقي) المعروفة، وانشأ شعبة فنية مجهزة بالآلات والاجهزة[٨] كما قدم المجمع العون إلى العديد من المؤلفين الذين تقدموا بمؤلفاتهم لنشرها، ولم يدخر جهداً في تصوير المخطوطات وتيسيرها للباحثين، ووضع الجوائز للنابهين من الطلبة الجامعيين، واشترى الكثير من الكتب الصادرة في العراق تشجيعا للحركة الثقافية، كما قوى صلاته بالمؤسسات الثقافية في العراق والوطن العربي وخارجهما.

---

(١) ترجمة الشبيبي الذاتية (بالآلة الكاتبة ــ مكتبتي الخاصة): الورقة السادسة عشرة. ويقول الشبيبي في هامش هذه الورقة: «وقد عطل هذا النادي بموجب مرسوم تعطيل الأحزاب والنوادي والجمعيات الصادر سنة ١٩٥٨. ولم يتقدم أحد من أعضائه لاستئناف نشاط النادي منذ ذلك الحين».

(٢) الجبوري: المجمع العلمي العراقي، ص ٤٤.

(٣) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٤) كان ذلك سنة ١٩٤٨. للمكان نفسه.

(٥) المرجع السابق: ص ٤٥.

(٦) د. يوسف عز الدين: خلاصة أعمال المجمع العلمي العراقي: ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤ (مستل من المجلد الحادي عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي) ص ٥.

(٧) ترجمته الذاتية: الورقة السابعة عشرة.

(٨) خلاصة أعمال المجمع، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١ (أيلول ١٩٥٠) ص ٣٨٤، والسيد عبد الرحمن قدوري، المشرف على الشعبة الفنية في المجمع منذ تأسيسها، من حديث شخصي (آب ١٩٦٧).

وقد كان المرحوم الشبيبي على رأس عدة لجان في المجمع ظهر فيها نشاطه وفعاليته[١] وقد اختتم أعماله في المجمع بأن وجه المجمع دعوة إلى (مجمع اللغة العربية) في القاهرة، الذي هو أحد أعضائه العاملين، لأن يعقد دورته الثانية والثلاثين في بغداد[٢] لزيادة الروابط بين الاشقاء العرب.

قلت اختتم اعماله في المجمع لأن الشيخ الشبيبي لم يستمر في عضوية المجمع ورئاسته، إذ لم يلبث أن استقال منه في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٦٥[٣] ولم يشارك في المهرجان الثقافي الكبير الذي شهدته بغداد في مؤتمر مجمع اللغة العربية الذي دعا إليه المجمع وقت أن كان الشبيبي في رئاسته. ولم يُجْدِ ردّ استقالته ولا جهود اللجنة[٤] التي شكلت من أعضاء المجمع لاقناعه بالعدول عن الاستقالة. وقد حدثني من أثق به أن استقالته كانت لتدخل الحكومة آنذاك، في شؤون، هي في رأي الشبيبي، من اختصاص المجمع.

وان كان دور الشبيبي في المجمع العلمي العراقي ما ذكرنا، فان له من المساهمة في مجمع اللغة العربية في القاهرة، الذي انتخب عضوا فيه منذ سنة ١٩٤٨[٥] ما يشهد بها له زملاؤه في المجمع المذكور.

---

(١) د. يوسف عز الدين: خلاصة أعمال المجمع العلمي العراقي: ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ (مستل من المجلد الثالث عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي) في أمكنة متعددة.

(٢) زكي المهندس: من كلمة ألقاها في افتتاح «الجلسة العلنية لتأبين المغفور له عضو المجمع الشيخ محمد رضا الشبيبي» التي دعا إليها رئيس مجمع اللغة العربية الدكتور طه حسين في القاهرة، في ٣ مارس (آذار) سنة ١٩٦٦ في دار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع.

انظر: مجمع اللغة العربية، الدورة الثانية والثلاثون، مؤتمر المجمع لسنة ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ (نشرة بالآلة الكاتبة) الورقة الثانية.

(٣) محاضر جلسات المجمع العلمي العراقي، جلسة ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٦٥. وفيها نص استقالته. وقد ذكر الاستقالة «لأسباب خاصة».

(٤) كانت اللجنة مكونة من الأساتذة: محمد شفيق العاني، محمد تقي الحكيم، محمود شيت خطاب.

(٥) مرسوم بتعيين عضوين عاملين بمجمع فؤاد الأول: مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٧ (١٩٥٣) ص ٢٨١.

وانظر: د. محمد مهدي علام وآخرون: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما (المجمعيون)، ص ١٧٥.

هذا.. وقد القى المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد كلمة استقباله في المجمع قال فيها: «صاحب المعالي الاستاذ محمد رضا الشبيبي الذي نستقبله اليوم، عضو عامل في مجامع العلم والأدب، يصح أن يقال فيه انه يدخل هذا المجمع من أكثر من باب واحد؛ لأنه شاعر ناقد، باحث لغوي، ناشر للعلم وللغة، معني بآثار اللغة

يقول الاستاذ زكي المهندس[1]، نائب رئيس المجمع، في كلمة تأبينه: (وقضى الفقيد في مجمعنا عشرين سنة أو تزيد كان فيها مثال الحيوية والجد والاخلاص في خدمة اللغة والتاريخ، فما من دورة من دورات المؤتمر إلا أتى الفقيد الينا وهو يحمل ثروة علمية ضخمة أعدها من دراساته العمقية وتجاربه الواسعة وأسفاره، الكثيرة في أرجاء الوطن العربي. وما من مسألة تاريخية عربية إلا وكان للفقيد فيها جولة تنم عن غزارة علم وسعة اطلاع واحاطة تامة في التاريخ العربي والاسلامي).

وقال عنه المرحوم الاستاذ أحمد حسن الزيات[2] في كلمة تأبينية أيضاً: (ان مجمع اللغة العربية ليشهد أن فقيده الكريم لم يتخلف عن شهود مؤتمر من مؤتمراته منذ انتخب في سنة ١٩٤٨ إلا مرة واحدة، ولم يحضر دورة من دوراته إلا مزودا بطائفة من البحوث القيمة والملاحظات الصائبة والاقتراحات السديدة[3] كان بلقيها علينا في تواضع فيه عزة، وتؤدة فيها ثورة، وثقة فيها يقين، جاءه من سعة علمه وصحة تثبته، ذلك إلى سمو في خلقه، ونبل في هواه، وبروز في ذاته، جعلته طوال عضويته في المجمع عميداً لأعضائه الشرقيين بحكم الواقع؛ يتكلم عنهم يوم افتتاح المؤتمر ويوم ختامه) الأمر الذي من أجله كرّمه أشقاؤنا في مصر بأن منحته جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن) درجة الدكتوراه الفخرية في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، منذ سنة ١٩٥٠.[4]

العربية قديمها وحديثها.

ثم شاعر فصيح اللفظ، ناصع المعنى، سليم العبارة، ينظم الشعر في أغراض شتى وفي الموضوعات الكبرى، وفي المعاني التي اصطلح المحدثون على وصفها بالعالمية. ومن أمثلة شعره...»

واختتم كلمته بقوله: «ولا جرم نستقبله اليوم في مجمعنا عضوا عاملا، وعنوانا صادقاً للثقافة العربية في العراق وفي سائر الاقطار العربية، ونحتفي به من حيث أقبل، لأنه على أبواب العلم جميعاً حقيق بالحفاوة».

انظر: مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٧ (١٩٥٣) ص ٢٨٦.

(١) انظر نشرة: مجمع اللغة العربية، الدورة الثانية والثلاثون، ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦، الجلسة الثامنة، الورقة الثانية.

(٢) المرجع السابق: ص ٦، ومجلة «البلاغ»: مج١ العدد٢ (تموز ١٩٦٦) ص ٦٤.

(٣) انظر: د. علام وآخرون: مجمع اللغة العربية.... ص ١٧٧.

(٤) تتوزع جامعة القاهرة لسنة ١٩٥٤ ــ ١٩٥٥، ص ٢١٩. وقد هنأه، بالمناسبة الشاعر السيد مصطفى الحيدري حين استقبله عائداً من القاهرة بقصيدة عنوانها «شيخ الرافدين»، استهلها بقوله:

حللت حلول الغيث في عاطش الربى ... فأهلاً بشيخ الرافدين ومرحبا

بذي الخلق السامي يفيض عذوبة ... ويجري كما تنساب في الروضة الصبا

ولم يقتصر اسهامه في المؤسسات الثقافية على ما ذكرنا، فقد شارك في أبحاث في المجمع العلمي العربي بدمشق، الذي كان عضوا مراسلا فيه منذ سنة ١٩٢٣[١]، كما ألقى مجموعة قيمة من الدراسات سنة ١٩٥٤ في المهرجان الألفي لابن سينا، في طهران، بدعوة من وزارة التربية الوطنية الايرانية أخرجها في كتاب بعنوان (تراثنا الفلسفي - حاجة إلى النقد والتمحيص)[٢] كما ألقى سلسلة من المحاضرات سنة ١٩٦٠ في (أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية) بدعوة من معهد الدراسات العربية العالية (معهد البحوث والدراسات العربية الآن) التابع لجامعة الدول العربية[٣]، الذي هو عضو في مجلسها الأعلى لمعهد المخطوطات، كما ساهم بقدر ما سمح له وقته ومشاغله في المواسم الثقافية والمهرجانات العلمية التي دعي إليها في غير بلد عربي واحد[٤] بالاضافة إلى ما كان يلقيه من محاضرات في العديد من المواسم والمعاهد العلمية والأدبية في العراق.

بـــذي الأدب للعـــالي بهـــذب أمـــة ويخلـــق أجيـــالا ريـــمطع كوكبـــا

انظر: نضال، ص ١٤٤.

(١) انظر: مجلة المجمع العلمي العربي: مج ٣ (١٩٢٣) ص ٢، مج٧ (١٩٢٧) ص ٦١، ٦٢، والجبـوري: المجمع العلمي العراقي، ص ٥٠.

(٢) نشره المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٥.

(٣) ظهرت في منشورات المعهد سنة ١٩٦١.

(٤) له محاضرة عن «ثقافتنا البحرية وشهاب الدين أحمد بن ماجد» في الموسم الثقافي الـذي دعـت إليـه معارف الكويت سنة ١٩٥٩.

انظر: محاضرات الموسم الثقافي الخامس، نشر معارف الكويت ١٩٥٩ ص١٩٩ كما سـاهم فـي مهرجـان جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف سنة ١٩٦٠ فالقى كلمتين في ذلك المهرجان.

انظر: الكتاب الذهبي ــ جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف، نشر وزارة التربية الوطنية في المملكة المغربية، ١٩٦٠، ص ٤٩، ٩٦.

ولم يتح له الوقت لتلبية دعوة «جامعة السيد محمد بن علي السنوسي» الليبية لالقاء سلسلة من المحاضرات في سنة ١٩٦٤.

انظر: ملفه الشخصي في المجمع العلمي العراقي، الكتاب الرسمي العدد ٦١٦ بتاريخ ٢٧ ــ ٥ ــ ١٩٦٤.

الشيخ محمد رضا الشبيبي

أبي كما رأيته..

الأستاذة: أروى الشيخ محمد رضا الشبيبي*

تقديم :

لن أتطرق في هذه المعالجة عن سيرة الوالد الشيخ محمد رضا الشبيبي تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه السياسية والأدبية.. فقد وفاها حقها غيري من الباحثين، وربما بمصداقية أكثر من أن يسردها أي فرد من العائلة .. لأنه عاش للعراق وشعب العراق أكثر مما عاش لنفسه ولعائلته، ولذلك آمل أن أفيه ولو بعض حقه في كونه زوجاً ووالداً ومربياً.

واذا كانت(كل فتاة بأبيها معجبة) كما يقول المثل العربي، فانا هي تلك الفتاة، فوالدي الخالد قدوتي ومثلي الأعلى وكثيراً ما يزورني في أحلامي ناصحاً أو عاتباً وكأنه يعيش معي ليومي هذا، ومن قال انه مات فهو واهم، فذكراه العطرة الباقية ابد الدهر على كل لسان فأنه كان أب للعراق وردّ العراق له حقّ الأبوة كاملا دون نقصان.

مولده وصفاته:

ولد الشيخ الشبيبي في مدينة النجف الاشرف في ١٨٨٩/٥/٦ في بيت عز وأمارة، في رحاب الامام علي بن ابي طالب (ع) وأخوته الشيخ باقر، وعلي، وجعفر، ومحمد، وحسين، ورشاد، منهم من اشتغل بالتجارة والسلك الحكومي والادب أما الذي يليه فهو الشيخ باقر، من الرعيل الاول من المجاهدين، ولا ينكر أحد ما كان لبنات أفكاره المنظومة والمنثورة، ولقصائده من أثر بالغ في نفوس الجماهير، وأخواته: منوة وغزوة من فضليات السيدات، ولهن باع طويل في الأدب في المجالس النسوية بحكم الوراثة وكانت منزلتهما أثيرة لدى الشيخ الشبيبي فهو يشاورهن ويشركهن الرأي في كل شاردة وواردة، وهذا ينطلق من موقفه العادل من قضية المرأة.

ومن صفات الشيخ الشبيبي البينة بُعد النظر، والأناة في معالجة الامور.. وحليماً..ولكن كما يقال (اتق غضب الحليم) فهو إن غضب كالبحر في طغيانه.. وكما كان يصفه عارفوه عالماً

---

* عن: مجلة الموسم الهولندية.

مؤرخاً اديباً شاعراً، وسياسياً مصلحا.. اضافة الى كونه صاحب مبدأ قويم، ومسلك قائم على عفة اللسان ونظافة وطهارة النفس والضمير، وهذا ما عناه العقاد عندما رحب به عام ١٩٤٨ عضوا عاملا في مجمع اللغة في القاهرة فقال (دخل المجمع من اكثر من باب)

ان عمري الحقيقي هو الذي قضيته بين احضان أبي وأمي على قصره.. واعتقد انه يكفي لاقول ان الحياة لا نكهة لا طعم بعد فقدهما .. لالية العيش فقط .. لذلك فانا لا اعرف عنهما كثير جداً.. فعمق تاثيره.. سيبقى معي عمري كله .. وفقدهما مادياً كان من الدور الاكبر في تغيير حياتي كلياً فانفتح باب الحزن على مصراعيه ولم يغلق أبداً رغم كوني الآن أمّاً انا الأخرى.

ومن صفاته الاخرى:

تحله كل واحدة في النفوس أكرم محل، فكيف بها مجتمعة فلا بد ان يعني به الدارسون وان تكون له في تاريخنا الادبي والعلمي والكفاحي مكانة رفيعة ويقول العقاد عنه: "شاعر ناقد، باحث لغوي، ناشر للعلم واللغة" نشأ والدي في حي البراق بالنجف وحفظ القرآن في الخامسة من عمره على يد سيدة فاضلة تعرف باسم مريم البراقية وتعلم الخط على يد الشيخ هادي حصير. من هنا كانت مراحل تعليمه الاولى على طريقة الدراسة التقليدية في النجف وبسبب ما لمسه من جمود وتقليد فيها اتجه اتجاهاً خاصاً به في الدراسة الحرة، ثائراً على القيود القديمة، فتحول الوالد محمد جواد الشبيبي الى المعلم الاول، والموجه لابنه البكر. وفي وصيته اليه التي كتبها باسلوبه في ١٩٠٤/٧/٦ وكان الولد يبلغ من العمر خمسة عشرة سنة يقول "جد للعلم ففيه يظهر جدك".

وتحول مجلس والده الى مدرسة اساسية للسلوك والعلم، وفيه يقول الشبيبي:"ولم يزل ناديه من ابهج نوادي الأدب في النجف، تلقى فيه المحاضرات النافعة، وتجري فيه المناظرات المفيدة والمذاكرات العلمية فهو مجتمع الطبقة العليا من المهرة الذين يفعل حديثهم في الالباب ما لا تفعله السحرة" وقد هيأ له المجلس مجال التعرف على عشرات الادباء والعلماء والتاثر بهم وقد تتلمذ في سنوات شبابه الأولى على يد أفضل العلماء في ذلك العصر، فدرس البلاغة والمنطق والادب والفقه والشريعة، وتفهم الاسلام وعلومه، واستمد الكثير من الحياة الاموية والعباسية وناظر الفلسفة اليونانية وفي زمنه لم تجر العادة على الاهتمام بتعلم اللغات الاخرى وهو يقول عن نفسه بهذا الخصوص:"كان لي ولع بتعلم اللغات ايام شبابي" ولكني لم اجد غير العربية اجادة تامة.. اني اعرف طرفاً من الفارسية ومن اللغات الشرقية الاخرى ومن بعض اللغات العربية.

زوج وعشرة ابناء

ودخل قفص الزوجية الذي أحاله رحبا في عام ١٩٢٥ حين تم عقد قرانه على والدتي السيدة شمسة محمد رحمة الله التي تمتد اصول اسرتها العريقة الكريمة الى مدينة السماوة وقد اثمر هذا الزواج عشرة أبناء هم على التوالي:"وجيهة، هدية، اسعد، اكرم، أمجد، عائدة، أسماء، سنان، أروى، دنيا" في مجموعهم اربعة ابناء وست بنات.

كان والدي زوجاً مثالياً رائعاً يقدر امرأته وام أبناءه تقديراً فائقاً، وهو يرى ان مهمة المراة الاولى زوجها وبيتها وأبناؤها لأنها مربية الاجيال وكل المجتمع قبل أن تكون نصفه، وفعلاً كانت سفينة حياتهما تمخر عباب السعادة وجدا فيها من التماسك الاسري ألواناً وألواناً في عهده الذي كانت فيه السطوة كل السطوة للرجل الا انه لم يكن يبت في أمر قبل أن يأخذ رأي زوجته فمكانتها الجليلة في حياته التي يركن إليها في ملماتها الخطيرة بجليل الأعمال ومن هنا كانت إسماً على مسمى. كان الفارق العمري بينهما كبيراً يقرب من ٢١ عاما لذلك وكما مثل هذه الزيجات يغمر الزوج زوجته بدلاله وحبه فيكون من دون أن يُشعرها أبوها وزوجها في الوقت عينه، فهي الإبنة وهي الزوجة وليس أعز من سواها عند الزوج.

ومع ذلك فانه طفلها البكير..فبدل ان يكون زوجها فعنايتها به لم تستثن أي صغيرة اوكبيرة من مجريات حياته الحافلة، واذا ما قيل ان بجانب كل عظيم امراة عظيمة فهي بحق وحقيقة هذه المرأة القوية التي شاركته حياته كلها بحلوها ومرّها، بشقائها وسعادتها لحظة بلحظة، وكانت له الحضن الدافئ عندما تدلهم عليه الليالي بغيومها الداكنة. مرضت والدتي بداء عضال هو السرطان في الرئة واغتالها الداء الوبيل سنة ١٩٦٣ بعد معاناة رهيبة. كان يعاني معها الداء استوطنه هو، وبعد وفاتها عن ٥٣ عاماً كان والدي يجلس لساعات في مكتبته يبكيها... وقد رثاها بديوان خصصه لها اسماه (رنين الاجداث) بعد ان توقف عن نظم الشعر لفترة طويلة ثم عادت شاعريته ثانية لغزارتها وتالقها بعد ان هزها موتها في غير أوانه.

ومع كل وقته كان يذهب لمشاغله الجسام في عصره الملتهب بجلائل الأحداث إلا انه كان يجد من الوقت ليجلس الى زوجته وأبناءه في سويعات عائلية هانئة مليئة بالتوجيه التربوي الذي يخالطه حب الزوجة والعطف الغامر بالابوة الرحيمة للابناء ولا تخلو الجلسات من روح النكتة والفكاهة الهادفة.

مجاهد في هالة

كان اخوتي ينظرون اليه بهالة من الاكبار والحب فهو رجل البيت القوي او رجل المواطن المجاهد... والأسد المهصور الذي لا يخشى أحداً، والشاعر الأديب، والسياسي المحنك،

والاجتماعي الفذ المشهور، الذي طافت شهرته الآفاق بصالونه الأسبوعي كل يوم جمعة في داره الواقع على دجلة الخير والذي كان يؤمه مختلف الناس من شخصيات طبقات العراقيين والاجانب ممن يعرفهم ولا يعرفهم، ومنهم من يكون ضده ولكنه يلبس لباس الصديق، ولم يكن هناك موقف لقدم، وكان الشارع يختنق بالسيارات .. مضيفاً زائريه بالقهوة العربية بدلالها الاصيلة والماء العذب أما في ليالي رمضان فيمتد هذا الصالون في كل الليالي من الشهر الكريم الى ساعات الصبح الأولى.. إلى هذا لم تكن داره العامرة تخلو من الزوار يومياً عملاً بالقول المأثور:"نحن الضيوف وانت رب المنزل"

وحرص الشيبيي على تربية أبناءه وتعليمهم وغاليتهم قد أكمل تعليمه في الجامعات بريطانيا بعد ان انهى دراسته الجامعية في بغداد.. ومنهم الطبيب والمهندس والباحث الاجتماعي والاقتصادي والمدرس وامين المكتبة وكنت وأخوتي نحيطه بحب بالغ وهيبة كبيرة وصدق من قال:"كل فتاة بابيها معجبة" اما اخواني الذكور فمنهم من سار مسيرة أبيه في العمل الوطني وكانت المعتقلات بيوتهم وكان والدي يسهر الى جانب الهاتف.

الأبناء:

كان اخي الاكبر أسعد على سرّ ابيه في السياسة والعمل والأدب، وقد أعدم في سنة ١٩٨١ أبان الحرب العراقية الايرانية من قبل النظام العراقي الحالي الغاشم، ومن برّه وإنسانيته بأهله أن جاء الى دار أخيه في منتصف الستينيات رجل الامن للقبض على ابنته المتهمة بكونها يساريه.. وحاول الشيخ الشيبيي منعهم بإرجاء الاعتقال إلى الصباح فلم يفلح.. ثم تمكن بعد لأي من الاتصال هاتفياً بالرئيس عبد السلام عارف شاكياً وطالباً التدخل لتأجيل اعتقال الشابة الى الغد القريب فصرف الرئيس النظر عن اعتقال الفتاة الشيبيية.

عدّة شخصيات في شخصية واحدة

كان والدي شخصية اجتماعية من الطراز الاول انه عدّة شخصيات صهرت في كيان واحد .. له من الجاذبية الآسرة الشيء الكبير، حديثه طلي وثقافته عاليه وادبه متميز.. واشتهر برصانته وبعد نظره وسعة افقه التي لا يقدر عليها الكثيرون، فهو رجل المواقف الصعبة، وكان رجل مجالس ادبية واجتماعية وسياسية ـ ان جاز ان نقول ـ ان للسياسة مجالسها. الى جانب ذلك كان صاحب نكتة وسريع البديهة والتصرف التلقائي. من ذلك انه توفي صديق له فمضى لفاتحته يتبعه رهط من اقاربه واصحابه ولم يكن يعلم ان هذا الصديق الذي نعي اليه قد أنتقل من داره القديمة الى الاخرى الجديدة التي ابتناها في احد الأحياء الحديثة، دخل والدي

وصحبه الى الزقاق الذي تقع في دار الرجل القديمة فرأى الناس واقفة على الجانبين فحضوا به وأدخلوه الدار في صدر المجلس.. وكان القارئ يقرأ السورة القرآنية بزواج موسى القوي الامين وهي تقرأ عادة في حفلات القران ثم ضيّف الشيخ بالحلوى والعصير.. إذن لم يكن مجلس فاتحة بل عرساً.. فهيأ العروسين ومن توّه ذهب الى دار صديقه الراحل بعد ان أرشد اليها!! وهو رجل المناسبات الاجتماعية كضيف له مكانته. أما وساطته في الزيجات فلا ترد.. فاذا رفضت عائلة ان تزوج ابنتها لخاطب، فذهاب الشيخ كواسطة كفيل باتمام الزواج، وكان كثيراً ما يزكي من يعرفه جدياً من أجل حصوله على وظيفة ليبني مستقبله.. لقد نذر نفسه لعمل الخير فجاءه كل الخير. دعي والدي الى زياة الكويت ضيفاً على أميرها تحت تصرفه سيارة وسائقها وسار به السائق لزيارة الأحياء الجديدة والأسواق المليئة بالبضائع الشرقية والغربية التي امتلأت بها البلاد بعد الثروة النفطية غير انه طلب الى السائق أن يأخذه إلى الكويت القديمة فيما السائق أفاد أن السيارة لا تدخل السوق العتيق، فقال الشيخ انه يستطيع ان يمشي على قدميه واخذ السائق الى السوق القديمة قائلاً أن صناعة السفن الشراعية قد انقرضت او انزوت.

لقد عرف والدي كرحالة يجوب الآفاق يوماً على متن طائرة وأخرى على ظهر باخرة، وكانت اغلب سفراته تلبية لدعوات.. وأدبه في الرحلات جدير بأن يقرأ بعناية وكانت وجهته أكثر من أي بلد الى مصر العربية لكونه عضواً في مجمع اللغة العربية ومقره القاهرة.. كما ان اختي المتزوجة كانت تقيم في القاهرة مع زوجها.

في واقع الحال ان سفينة حياة والدي واسرته لم ترم بثقل مرساتها الى البر بعد فهي تسير من مرفأ الى آخر، وفيها من العبر الشيء العظيم، ولكن كما يقول الامام علي (ع):"ما اكثر العبر وما اقل الاعتبار".

وجاءته المنية بخطواتها التي لا ترد في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥بعدان هزته عاصفة عاتية من الحكم القائم آنذاك قبلها بأيام، وتوفي بالسكتة القلبية في مستشفى ابن سينا ببغداد، وهزّ الخبر العراق من أقصاه الى أقصاه كما تردد بحزن في اصداء الوطن العربي وبكاه الصغير والكبير وجرى له تشييع ما زلت أذكره كما تذكره مدن العراق، ودفن في مقبرة الأسرة في النجف الاشرف.

الكتاب خير جليس:

وكان طبيعيا ان يكون الكتاب ولعه الاول اذ انه تعود على ارتياد مزاد الكتب الذي يجري كل خميس وجمعة في قيصرية علي أغا بالنجف، فتجمعت لديه طائفة كبيرة من رسائل وكتب ومخطوطات نفيسة ولم يفارق الشبيبي حب الكتاب حتى الرمق الأخير، فقد تجمع لديه

ما يربو على السبعة الاف مجلّد بين مخطوط ومطبوع في شتى حقول المعرفة الانسانية، مترجمة وغير مترجمة وقد تحولت مكتبته إلى صومعة حقيقية له واستوزر وزارة المعارف أكثر من مرة وصار رئيساً لنادي القلم العراقي، ورئيسا للمجمع العلمي العراقي وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ سنة ١٩٤٨ ونال درجة الدكتوراه الفخرية في اللغة العربية من جامعة القاهرة، وتوالت عضويته في المجامع العربية والدولية ومنذ حداثته نشرت له كبريات الدوريات العربية مثل لغة العرب والعرفان والزهور والمقتطف والعراق وتناولته الصحف والدراسات والمقالات والبحوث الجامعية العليا بالتمحيص والدراسة.

بدأ والدي في قرض الشعر في حدود الخامسة عشرة من عمره أي حوالي عام ١٩٠٣ ولم يكد يقبل على العقد الثالث حتى كان من المبرزين في النتاج الشعري بجميع ألوانه، وتؤكد بعض المصادر ان اول نشر للشبيبي كان عام ١٩١٠-١٩١١ فيما يؤثر عنه هو شخصياً العام ١٩٠٨.

من أبرز المعادين للطائفية:

أما عن كتاب النصولي المعنون (الدولة الاموية في الشام) فانه كان مقتنعاً بأنه لم يرد فيه أي طعن أو إساءة لأهل البيت علاوة على انه كان على علاقة جيدة بشخص النصولي وبذلك اتخذ موقفاً وطنياً من هذه القضية شأنه في جميع القضايا التي تعمل على تفريق الصفوف.

الشبيبي المربي:

كان أقرانه يقرأون بلهفة وشوق ما في صفحات المجلات والجرائد العربية من أبحاث ومقالات تشمل آثار الأفغاني ومحمد عبدة والكواكبي وشبلي شميل واليازجي والبستاني فتأثروا بأفكارهم فهبوا للدعوة ..ومشت القافلة وكان والدي على رأسها حتماً وفي خضم ذلك يبحث الشبيبي عن الموجهين الذين يريدهم ان يكونوا مؤمنين بأفكار الاصلاح الا ان ما حز في نفسه دعاة الاصلاح لا يتعدون الآحاد كما ورد في قصيدته "درس الالام" هذا ويؤلف الشباب في منظور الشبيبي أداة التغيير الأساسية لتهيئة جيل يتحمل أعباء التغيير ويولي التربية اهتماماً خاصاً في نشاطه المبكر ويطرح بخصوصها آراء في غاية الأهمية قياساً بزمانها، ففي مقالته المعنونة (التربية الصحيحة) يرى في حجر الأم المدرسة الصغيرة ثم يأتي دور الأب ثم الأسرة. أما تربية العقل وتثقيف الشعور فتقع على وظيفة المدرسة والاستاذ.

وهو متأثر برأي الكواكبي في ان التربية هي اداة تقويم الخلق ولسمو الروح، إلا انه يعتقد ان التربية يجب ان تكون أداة لمحاربة الشرور والاستبداد، وفي أنها أداة إصلاح للجميع من أجل المجتمع المنشود، ومن هنا نراه يتسائل بحسرة: "اين هي التربية أين أجدها؟ عند عالم

همه التهام مال الفقير وابتلاع لقمة اليتيم، عند تاجر تقمص باسم تجارته، باع دينه وضيع يمينه.. أين أرى التربية؟ هل أراها بحاكم رُبِّيَ على الرشوة، تلك الكهربائية أو النار الحامية تتلاشى صغارهن من البين وقد يتلاشى كبيرها أيضا كما انه يصل الى الارض وتسمى النيازك الساقطة على الأرض "اكرولايت" "Acrolite" ويوجد في المتاحف أنواع منها أما مادتها فهي الحديد وشيء من التراب" والشبيبي من اولئك المثقفين ممن استخدموا مصطلحات علمية جديدة وباسلوب يغرسها في عقل القارئ، وفند الراي الخاطئ حول موضع الارض في المجموعة الشمسية وبطريقة تذكرنا بأعلام النهضة الاوربية لا سيما الايطالي جوردانو برونو. كما جلب أبرز علماء الغرب أنظاره فأعجب بهم وأتى على ذكرهم في مقالاته، منهم بيكن وديكارت وغاليلو ونيوتن فهؤلاء يتمتعون لديه بقوة القلب وصدق الوجدان. اما بطليموس فهو عنده شيخ الحكماء ولم يكن في ذلك محض صدفة فان بطليموس كما هو معلوم صاحب أقدم وصف دقيق معروف للسماء.

مجالس الأدب:

وكانت مجالسه سواء في النجف ومن بعد في بغداد، ندوات طالما طرح فيها آرائه العلمية التي كانت تتعارض في كل شيء من الجهل والجهالة والخرافات التي كانت تعد من أخطر العقبات أمام النضال من اجل الحرية. فلذا كان الجهل لدى الشبيبي يعادل الموت فأن ذلك يعني بالبداهة ان العلم يكون الحياة فيقول:

وان حياة الجهل ان لم يكن لها ... على الموت سبق فهى والموت سيان

وكان للشبيبي راي في التفرقة العنصرية وتعالي بعض الناس على غيرهم لأنهم اشرف نسباً كما يدّعون فيقول:

اذا انتسبت انتسب في آل معدلة ... الحق عندهم -لا للباطل- النسب
يضيع الشرف الموروث صاحبه ... الا اذا ظاهر الموروث مكتسب

ويقول:

لو كلفن جلب الرزق كانت ... وظيفتهن طوع الاختلال
ومن للنسل تربية وحفظا ... اذا ساوينا في كل حال

الا اننا اذا اخذنا جميع الامور التي احاطت بالشبيبي بنظر الاعتبار نجد لموقفه من المرأة القدر المقبول الى حد كبير في مجتمع الرجل حينئذ، ومع ذلك يؤكد المقربون منه انه كان افضل من معظم اقرانه ولم ينكر حقوقها في مجالسه الخاصة والى جانب ذلك كان زوجاً مثالياً وأباً كاملاً وقف الى جانب تعليم بناته، فقد تخرجت ابنتاه الكبرى والثانية وجيهة وهدية من كلية

الملكة عالية فرع الاجتماع، فيما تخرجت ابنته الثالثة عائدة من كلية الآداب فرع اللغة العربية، ونالت ابنته الرابعة اسماء شهادة الماجستير في الاقتصاد من بريطانيا أما ابنته الخامسة اروى فقد حازت على الشهادة القانونية في المكتبات من بريطانيا أيضا وحصلت ابنته السادسة دنيا على شهادة الماجستير في الاقتصاد وكذلك من المملكة المتحدة، وموقفه هذا من تعليم بناته يعد مؤشراً معبراً عن إيمانه العظيم بأحقية المرأة في العيش بكرامه إلى جانب زميلها الرجل في الحصول على الفرص عينها في الحياة.

وعلى الرغم من اجلاله للدين النابع عن إيمان قوي وعن نشأة دينية بحته فانه كثيراً ما كان يهاجم رجال الدين عندما يجدهم قد أصبحوا عثرة في سبيل التطور لذلك فإنه أدان بقوة وقناعة التقاليد البالية والخرافات فهي التي أدت إلى تأخر الشعب وانحطاطه فكرياً وثقافياً وهي التي كانت تؤثر سلباً على النضال من أجل الحرية.

غير انه يضع الدين في المقام الأول لأساسيات المجتمع فيريد الدين محوراً للخير والسؤدد، فالأخلاق عنده تستقيم بالدين وهو يربط بين العلم والدين باسلوب صوفي دون أن يكون سلفياً بل انه على العكس تماماً واقعي متفائل، ففي قصيدته بعنوان "خواطر اليوم واقوال غد وما بعد غد" يسجل منطلقات فكرية وأخلاقية ثورية في عصر النهوض الفكري آنذاك منها "ما فتحت فمي إلا رفعت يدي" ومنها "الحق تحت لساني غير مضطهد" ومنها "حب الحقيقة يصبيني وان كبرت" إلى غير ذلك مما يدعو إليه في أن الحياة خاضعة للتغيير.

وفي ضمان السير نحو المستقبل كان يريد العلم لكل شيء وفي كل ميدان ومجال سوى المدارس الدينية وحدها يستثنيها من ذلك العلم، انه لم يفصل العلم عن الدين، فان الاول كما بلغ به التطور ساعد اكثر على تجلي عظمة الخالق بل انه يذهب الى حد كبير ابعد من ذلك حين جعل الدين والعلم آخذين "ارتضيا رحماً واحداً غير مقطوع ولا منفصل"

التصدي للبهتان:

وسعى الشبيبي بكل جهده إلى نشر الإسلام وآمن بكل ما جاء به النظام السماوي، وردّ على كل من ادعى البهتان والزور في الوحي، وان النبي محمد (ص) لا ينطق عن الهوى. والإسلام في رأيه بلسم لتضميد جراح البشرية وسيادة الانسانية وحفظها مما أحاط بها من الأخطار والتفرقة ودعا إلى عقد مؤتمرات إسلامية واضحة الأهداف، عاملة على إزالة التفرقة فقال :"اذا كان المسلمون من ابناء القرن العشرين جادين في احتفالاتهم هذه بذكرى الهجرة فليعتبروا بهذا الحادث العظيم ولينبذوا دواعي الفرقة والشقاق فحسبهم ما نزل بأكثرهم الى الان من الذل والهوان..وليعلم الجميع بان الغاية التي تحدو هذه (الاغربة البقع) على النعيق ما

كانت ولن تكون الا غايات خاصة" وبعد نقول في الختام: هذا هو الشيخ محمد رضا الشبيبي كما بسطنا في جهد متواضع في حياته في فصول وجيزة في واقعها يحتاج كل منها لكتاب ان اردنا ان نعرض لهذه الشخصية الفذّة متوغلين في التفاصيل، فهو صفحة ناصعة من تأريخ العراق الحديث فانصرف إلى الوطن والأمة والإنسانية وحركت مآسي العراق مشاعره، وكان أديباً له مقامه في الحياتين الاجتماعية والسياسية في فترة دقيقة حرجة من حياة العراق.

خاتمة من غير ختام:

الحديث عن والديَ شملته رحمة الله الواسعة بلا بداية ولا نهايةن فقد جمع من العلم والأدب ما تثقل به الكتب، ولست هنا في هذه الاطلالة السريعة بصدد الاستشهاد بشعره أو مقالاته... أو كتبه .. فالغوص فيها وفي فكره العميق يحتاج الى بحوث كل على حدة..لذلك امتنع هنا خوفا من لا أفيه حقه، ومن يريد فكل المطبوعات متوفرة في المكتبات مثل "SOAS" في لندن ومجمع اللغة العربية في القاهرة..عدا ذلك في العراق مثلاً.. كما ان له الكثير الكثير من المخطوطات التي لم تكشف كنوزها حتى اليوم.

له الخلد في جنان الخلد.. واليك أبتي كل ما اختزنه من عواطف جياشة من إبنة تجاه أبيها وقدوتها في الحياة.. ولا زالت تهابه ميتاً في مرافئ أكثر منه حياً..وروحك العطرة أبداً ترفرف عالياً كالعلم الخفاق.

الامام السيد محسن الحكيم يؤدي الصلاة على جثمان الشبيبي

وثائق:

مع الشبيبي في رحلته إلى الحجاز ..

كامل سلمان الجبوري*

من المهازل التي أشيعت في زمن الاحتلال البريطاني أن بعث السير أرنولد ولسن نائب الحاكم الملكي العام في العراق إلى الحكام السياسيين في ألوية العراق وأقضيته أن يعملوا استفتاء تسبر به الحكومة غور الناس لتعلم به من هم اصدقاؤها أو أعداؤها ، فقد أصدر أمره بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٧٧هـ /٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨م لأخذ الرأي في الأمور التالية:

١) هل ترغبون في دولة عربية واحدة تحت الوصاية البريطانية ، تمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل حتى الخليج؟

٢) هل ترغبون أن يراس هذه الدولة أمير عربي ؟

٣) من يكون ذلك الأمير الذي تختارونه ؟

ولما كانت النجف وبسبب مركزها الديني الواسع النطاق، وتاثير علمائها على جماهير الشعب، فقد كانت أول بلدة تحسست بثقل السلطة الاجنبية، وأول مدينة عراقية فكّرت بالتخلص من الاستعمار البريطاني، ولكونها مهد العلماء ومركز الروحانية فقد قام الحاكم الملكي العام المذكور بزيارتها بعد أن أبلغ الحاكم السياسي للواء الشامية والنجف لعقد اجتماع يضم علماء النجف وأشرافها وزعماء القبائل وساداتهم في أبي صخير والشامية، وتم الاجتماع الذي حضره طليعة من العلماء والرؤساء والوجوه والأشراف والأدباء فوعدوه بارسال الأجوبة إليه بعد دراستها بضعة أيام .

وجرت اجتماعات عديدة بين العلماء والرؤساء والوجهاء تمخضت برغبتهم في حكومة عربية مستقلة يرأسها ملك عربي مسلم، ووقع الاختيار على أحد أنجال الشريف حسين أمير مكة .

وذهب الرؤساء إلى الكوفة لمقابلة المرجع الديني الأعلى - يومذاك - السيد محمد كاظم

---

* رئيس تحرير المجلة.

أنظر : تفاصيل وقائع الاجتماع في كتابنا (النجف الاشرف والثورة العراقية الكبرى) ص٢٥-٢٩ .

الشيخ الشبيبي عند رحلته الى الحجاز

اليزدي، فكان رأيه: «اختاروا ما هو أصلح للمسلمين».

وأبلغوا الحكومة بمضبطة نظموها، ذكروا فيها شكل الحكومة وأميرها ووقّع عليها رجال الدين وزعماء العشائر ورؤساء القبائل ووجوه مدينة النجف الاشرف .

وبعد أن أدرك الرؤساء أن السيد اليزدي تجرد من الحركة أدبياً، كتبوا إلى الشيخ محمد تقي الشيرازي ـ وكان يومذاك يقطن سامراء ـ لقيادة الحركة وجعل كربلاء مقراً لاقامته لئلا يكون تحدياً للسيد اليزدي، وأستقبل الشيخ الشيرازي، استقبالاً حافلاً من خان العطيشي حتى كربلاء .

وأصدر فتواه المشهورة:

(بسم الله الرحمن الرحيم، ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم ، للامارة والسلطنة على المسلمين) .

وتوفي السيد اليزدي في ٢٨ رجب ١٣٧٧هـ /٣٠ نيسان ١٩١٩م، وانفردت المرجعية بالشيخ الشيرازي.

بعد ذلك نظموا عدة مضابط معنونة إلى الامير فيصل بن الشريف حسين يفوضوه بعرض قضيتهم والمطالبة بحقوقهم في الحرية والاستقلال أمام المنظمات الدولية في مؤتمر السلام وجمعية الامم، وإعلامه بترشيح أخيه الأمير عبد الله ملكا للعراق، وقد وقّع عليها معظم علماء العراق، وزعماء الفرات الاوسط ووجهاء مدنه.

ولما رأى الإنكليز أن أجوبة الاستفتاء جاءت خلاف طموحاتهم ورغبتهم، امتنع الحكام السياسيون من تسلم مضابط أجوبة الاستفتاء.

عند ذلك قرر العراقيون الاتجاه بافكارهم إلى خارج العراق، لبث الدعاية اللازمة للقضية العراقية ، وفي النجف دار اجتماع في بيت السيد علوان الياسري ، وفكروا بانتداب من يقوم بهذه المهمة الخطيرة في سورية والحجاز، فوقع اختيار الطبقات على اختلاف درجاتهم ، من زعماء الفرات وعلماء النجف، وكربلاء، والحلة، وشباب البلاد المثقف، على انتداب الشيخ محمد رضا الشبيبي ـ كما أسلفنا ـ ونظموا بذلك مضابط كثيرة موقعاً عليها من قبلهم، وكلها تنطق بانتدابه لبسط ما جرى في العراق من استفتائهم، وما اجمعوا عليه من اختيار أحد انجال الشريف حسين ليكون ملكا على العراق، وطلب انشاء حكومة دستورية مستقلة استقلالاً تاماً خالياً عن الحماية والانتداب ، وصرحوا في كتبهم إلى الحسين بانهم مستعدون لتضحية

النفس والنفيس في سبيل تحقيق هذه الغايات اذا لم تذعن السلطة البريطانية لمطالب العراقيين .

وقد ضم الاجتماع كل من:

العلماء الاعلام الافاضل:

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ عبد الرضا آل شيخ راضي، والشيخ جواد الشبيبي، والسيد محمد علي بحر العلوم، والشيخ محمد حسن آل المظفر، والشيخ جواد آل صاحب الجواهر ، والشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء ـ والشيخ محمد رضا الشبيبي، والشيخ محمد جواد الجزائري، والشيخ باقر الشبيبي، والسيد محمد رضا الصافي ، والسيد سعيد كمال الدين.

ومن التجار:

الحاج محسن شلاش، والحاج محمد مرزه، والحاج محسن عجينة.

ومن الشبان:

السيد سعد جريو، والسيد ضياء الخرسان، والسيد ابراهيم البهبهاني.

ومن رؤساء العشائر والزراعيين:

السيد نور السيد عزيز الياسري، والسيد علوان السيد عباس الياسري، والسيد محسن ابو طبيخ، والسيد هادي مكوطر، والسيد هادي زوين، والسيد كاطع العوادي، والحاج عبد الواحد الحاج سكر، ومجبل الفرعون، وعلوان الحاج سعدون، وعمران الحاج سعدون، وعبادي آل حسين، وعبد السادة آل حسين، ورابح العطية، وحمود (البدن)، ومرزوك العواد، وصلاح الموح، ومهدي الفاضل، والحاج وادي العطية، وسماوي آل جلوب، وعبد الرزاق مرجان، وعبد الرزاق شريف، وفخري كمونة، وعمر الحاج علوان وغيرهم[1].

وقصد الشيخ الشبيبي (لواء المنتفك) فاتم المذاكرات التي جرت في الفرات والنجف مع بعض زعماء هذه الديار ، واخذ تواقيعهم على مثل هذه المضابط التي حملها من الفرات الاوسط (وقد قام المرحوم عبد الحميد زاهد الكتبي باخفاء هذه المضابط بين طيّات جلد نسخة من المصحف الشريف) وقد حل في الناصرية في دار عبد الكريم السبتي، وفي الشطرة قام آل الشعرباف، والسيد عبد المهدي السيد حسن، والشيخ علي الشرقي (وكانوا على صلة بالمهمة التي جاء بها الشبيبي) بتعقيب توقيع الوثائق من قبل الشيوخ والوجوه في الغراف، ورافق

---

(١) اورد هذه القائمة جعفر حسين مرزة في كتابه (فصيح ما ليس بفصيح) ط دمشق ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م هامش ص١٤٤، عند حديثه عن الشيخ محمد رضا الشبيبي، وذكر في نهايتها أن هناك اسماء غيرها أنسيانيها للشيطان بسبب ضياع الورقة التي كنت قد سجلت اسمائهم فيها في حينه.

الشيخ ابراهيم الاطيمش الشيخ الشبيبي في سفرته هذه، حيث قصد (البصرة) متنكراً للسفر إلى (جدة) بطريق البحر، فلم يحصل على جواز سفر، وشعر بان الجواسيس يتعقبونه في (البصرة) فآثر السفر براً إلى (الحجاز) وركب مع احدى القوافل التي كانت متأهبة للرحيل برئاسة ضيدان بن حثلين، أحد زعماء العجمان النجديين، مع فريق كبير من عرب العجمان .

وفي الساعة التي غادر فيها الشيخ الشبيبي (مدينة البصرة) متوجهاً إلى (الزبير) كبست السلطة المحل الذي كان يقيم فيه في (الفيحاء) فلم تعثر على شيء ، وكان ذلك في سلخ شوال ١٣٣٧هـ (٣٠ تموز ١٩١٩م).

ووصل الشيخ إلى (حايل) وغادرها دون أن يعرف الناس أمره، فسافر إلى (المدينة) وقصد (مكة) فاجتمع في وادي فاطمة - على مسافة مرحلة من مكة - بالأميرين (علي) و (عبد الله) فقابلهما بلباس الاحرام، وكانا مسبوقين بسفره إلى الحجاز، مقابلة وجيزة، علما منها إجمالاً خطورة الحال في العراق ثم فارقهما على أن يكون الاجتماع بمكة .

وواصل سفره حتى وصل (أم القرى) واجتمع بالحسين، حيث سلمه المضابط التي كان يحملها اليه، وأرسلها إلى ممثله (الامير فيصل) في مؤتمر الصلح إذ ذاك .

وبعد مرور أربعين يوما قضاها الشبيبي في الحجاز، غادره متوجهاً إلى سورية بطريق السكة الحديدية، حيث قضى فيها نحو سنة، كان خلالها على اتصال بالعراق والعراقيين، وعاد إلى وطنه في اخر مراحل الثورة، وكان قد أرسل أجوبة (الحسين) إلى زعماء العراق وعلماءه ورؤساء قبائله مع من اعتمد عليهم من الرسل .

وقد أرخ الشيخ علي البازي هذه المهمة بقوله[1]:

لما دهى الخطب ومستعمرنا ... قاومنا بالعسف والمعارضه
رات رجال الشعب في وعوده ... خلفا وفي احكامه مناقضه
فاستنهضت عزم الحسين واحتمت ... به ومنه رامت المناهضه
(بفيصل) أعظم به من فيصل ... كاشف أسرار القضايا الغامضه
(رضا الشبيبي) له منتدباً ... أرخ (إبا سافر للمفاوضه)

١٣٣٧هـ

(١) ادب التاريخ ــ خ ــ ص٢٤ .

وفيما يأتي صور المضابط التي حملها الشيخ الشبيبي إلى الشريف حسين[١] وتخويل نجله الأمير فيصل في المطالبة بحقوق العراقيين في مؤتمر السلام وجمعية الأمم باستقلال العراق:

إلى ملك العرب الحسين بن علي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أما بعد فان الحلفاء في الحرب العظمى أذاعوا على سكان العراق في هذه الايام منشوراً فحواه انهم لم يحاربوا إلا لتحرير الشعوب، وان يكون لكل شعب من الشعوب حق تقرير مصيره بنفسه، وادارة شؤونه من قبله، ولم يكن لهم نية الفتح والاستعمار، وبناء على هذا طاف الحاكم الملكي العام في العراق، واجتمع بكافة الزعماء والرؤساء والعلماء طالباً اليهم أن يبدوا رأيهم في النقاط التالية:

اولا: في حدود المملكة العراقية، وما اذا كانت الموصل جزءاً من العراق أم لا؟

ثانيا: في الحكومة التي يرغبون فيها ، والأمير الذي يملّكونه في البلاد ؟

وبعد المداولات والمذاكرات، أبلغوا الحاكم السياسي البريطاني العام في العراق، بأن الموصل جزء لا يتجزأ من العراق، وطلبوا إليه تأسيس حكومة عربية دستورية، على أن يكون أحد انجال جلالتكم ملكاً على العراق، كما بلغكم تفصيله المندوب من قبل عموم العراقيين الشيخ محمد رضا الشبيبي، والله ولي التوفيق .

التواقيع[٢]

---

(١) الوثائق عن كتابنا المخطوط (وثائق الثورة العراقية ومقدماتها) .

(٢) وقد اجاب الشريف الحسين بن علي على الرسالة التي بعث بها الامام الشيرازي :

الديوان الهاشمي .. بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي..

إلى الجهبذ الافضل والحبر الاكمل مولانا الشيخ محمد تقي الشيرازي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وانه في اهنا الساعات نلتقيا محركم الكريم وطيه صور افاداتكم للجنة وعلم مآل الجميع، واني بعناية الله تعالى سابذل كل ما في الجهد لحصول رغائبكم، وكيف لا اقول ذلك وانها هي احدى اساسات الاعمال التي ارتكبنا من جهتها التهلكة، فكونوا مطمئنين بالله سبحانه وتعالى بانا على ما تاملون، اما الفوز برغائبكم بل رغائبي فيكم التي هي قرة عيني، أو ترك الدنيا وما فيها، والله يتولانا واياكم بتوفيقه، فانه يخلق ما يشاء ويختار .

وسلامي عليكم كافة ورحمة الله وبركاته.

٢٤ ذي الحجة الحرام ١٣٣٧هـ. الحسين بن علي

الديوان الهاشمي

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي الى المجتهد الاوفق والحبر الاكمل مولانا الشيخ محمد تقي الشيرازي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وانه في اصح الساعات تلقينا موركم الكريم وعلمنا صدور افادكم المفصلة وعلم مآل الجميع وان عناية تعالى ستبذل كل نبأ الى المغلوطين رغائبهم وكيفما لا تتوان ذلك والقاضي احرى اساسات الاعمال التي ارتكبنا من مجتمعها التهلكة ونرجو مطمئنين بالله سبحانه وتعالى بأنا على ما تؤملون اما الفوز برغائبكم بل رغائبي فيكم التي لم تزل عني اوتزكن الخيار وما فيها والسير بتوفيقنا واياكم بتوفيقه فانه يخلق ما يشاء ويختار وسلامي عليكم كافة ورحمة الله وبركاته ٢٢ ذو الحجة ٢٧

برقية

الى صاحب السمو الامير فيصل نجل ملك الاردن الحسين بن علي حفظه الله ملكه

لقد بلغنا بابتهاج نبأ عودتكم من الحج العظيم وما تحملتموه من المجهودات الكبيرة لاستقلال البلاد فاستبشرنا بذلك كثيرا وقدرنا نهضتكم حق قدرها فشكر الله سعيكم وجزاكم احسن الجزاء وينقشوا ان عيوننا معاشر العلماء الروحانيين شاخصة الى حضرتكم ونعتبر مطالبتكم باستقلال البلاد صادرة من اعماق نفوسنا وصميم ضمائرنا وهاهن نوجب عليكم بما لنا من صفة التمثيل للطائفة الجعفرية مواصلة سعيكم الى النهاية حتى يتحقق استقلال العراق استقلالا تاما عاريا عن شائبة الحماية والوصاية وقد فوضنا لكم في خصوص مطالبة مؤتمر السلام واعضاء عصبة الامم على تحقيق استقلال البلاد التام وفقنا الله واياكم للعمل بما فيه مصلحة الامة ٨ رمضان ١٣٣٧

الاحقر محمد تقي الشيرازي

برقية

الى جناب السمو الملوكي الامير فيصل نجل جلالة ملك العرب الحسين بن علي المعظم

لقد وافتنا انباء بالسمو الكبير وبالمثل الرفيعة التي بايعته لتتوج من الجمعة العظيم لاستقلال البلاد العربية وانقاذها من الظلم الاجنبي سشكر الله سعيكم وجزاكم احسن ما يجزى به الجاهد الحامي عن حقوق امته النجيبه ولا غرو فانتم اولى منكم بالمفاخر واحق منكم بالمآثر انتم اولاد اوهر انتم سلالة العرب انتم ملوك العرب انتم فروع تلك الدوحة العربية انتم نسل السلالة الهاشمية وهنا لقد قدرنا نهوضكم الشريف حق قدره وتيقنوا ان كافة العلماء الروحانيين وعموم العراقيين يتهدون ربالتع باستقلال العراق وبقية البلاد العربية صادرة من اعماق نفوسهم وصميم ضمائرهم وهاهم قوادكم تبايعكم سيكم بكل حماس وتشد طالما بايعته حتى تحملوا على رغائب الامة العربية وقد وكلتم فوضنا كم برصفتنا روحانيين على ان تنهوا عن قضية مؤتمر الصلح واعضاء الهيئة العلمية باستقلال العراق استقلالا تاما غير قابل للتجزئة والوصاية عن ظل الدولة العربية وتيقنوا ان استقلال العراق التام هو الذي يحقق بوطيدا كان السلام العام وفقكم الله وايانا لما فيه مصلحة الامة العربية

الداعي خادم الشريعة
محمد مهدي الخالصي

الى عهد عصبة الامم جناب السمو فيصل

ان موقفكم الدفاعي دون حقوق الامة العربية لدى مؤتمر السلام موضع اعجاب العراقيين كما انه موضع اعجاب اخوانهم في [illegible] ولو تخرج باكثر من انه كان حقا فاصلا بين نهضة الامة الحقيقية وسباتها العميق ورضعنا [illegible] وقلبين لوفد المفكرين من روحانيين ومثقفين وشيوخ وشريف قد وكلناكم تفويضا مطلقا [illegible] رغائبنا امام المؤتمر العالمي في تاسيس المملكة العراقية ان تتكون من شمال الموصل الى الخليج فارس مترفع تعيش في ظل الدوحة العربية المقدسة يكلها اخوكم الامير عبد الله وبرافقه مجلس نشريعي وطني ودستور [illegible]

نمرة ٤٨ شوال ١٣٣٧

آل حاج باقر — آل السيد عبود — محمد مهدي البصير — آل عالم — محمد رؤوف — [illegible]
ناصر سعيد — السيد جواد ومحمد الوتوت — محمد الباقر — آل الجد الكبير — [illegible]

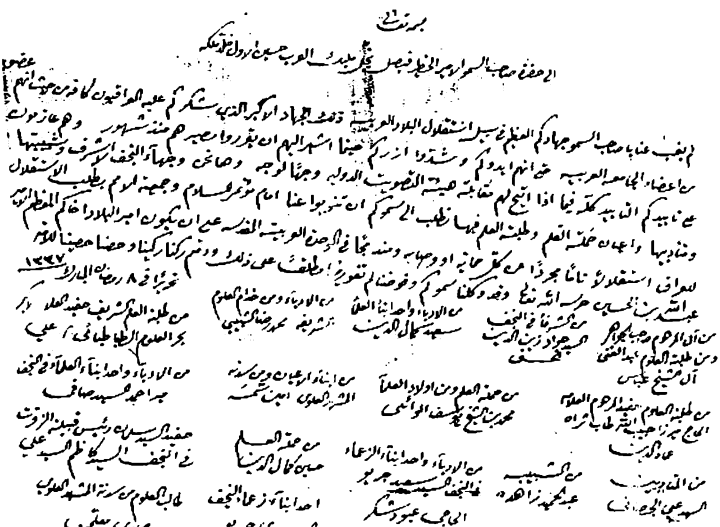

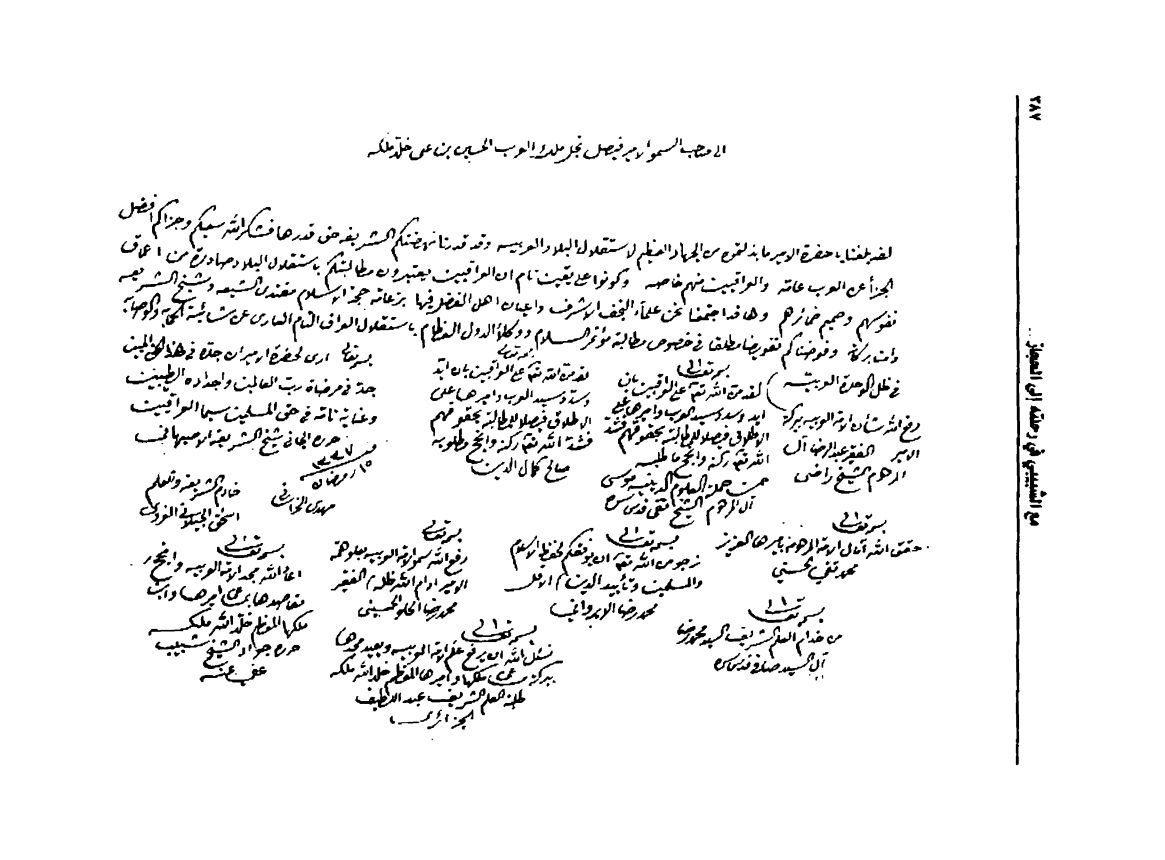
الاوحد السموأ امير فيصل نجل ملك العرب المعين بن عن خلد ملكه
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله حضرة الامير ما بذل لنهوض العرب لاستقلال البلاد العربية وقد قدرنا نهضتكم الشريفة حق قدرها فشكر الله سعيكم وجزاكم افضل
الجزاء عن العرب عامة والعراقيين منهم خاصة وكونوا على يقين تام ان العراقيين يعتبرون مطالبتكم باستقلال البلاد جهاداً في سبيل الله عن اعلى
نفوسهم وصميم ضمائرهم وها هذا اجتمعنا نحن علماء النجف واعيان اهل الفضل فيها بزعامة حجة الاسلام مقتدى الشيعة وشيخ الشريعة
وادام بركاته وفوضنا كم تفويضاً مطلقاً في خصوص مطالبة مؤتمر السلام ووكلاء الدول المنظم باستقلال العراق التام الذي سارعن سابقة العلم وكوكبه
في ظل الوحدة العربية
رفع الله شأن امة العرب ببركة الامير الكفء عبد الرحمن آل الارحوم شيخ راشد
بسم الله الرحمن الرحيم
لقد منّ الله تعالى على العراقيين بان ايد وسدد سيد العرب وامير هاشم على الاطلاق فجعل الولاية بيده يحفظ قوائمها الله تعالى بركته وانجح مطلبه
من حمد الهادي الكبير بن موسى آل الارحوم الشيخ تقي قدس سره
بسم الله الرحمن الرحيم
لقد منّ الله تعالى على العراقيين بان ايد وسدد سيد العرب وامير هاشم على الاطلاق فجعل الولاية بيده يحفظ قوائمها الله تعالى بركته وانجح مطلبه
صاحب كمال الدين
بسم الله الرحمن الرحيم
ارى لحضرة الامير ان جدة في هذا الحين جدة في حرضاة رب العالمين واجداده الطيبين وغاية ناشئة في حق المسلمين سيما العراقيين
حرر في النجف الشريف بقلم احمد الحائف
مهدي الخالصي
بسم الله الرحمن الرحيم
حضرة الامير ان جدة في هذا الحين جدة في حرضاة رب العالمين واجداده الطيبين وغاية ناشئة في حق المسلمين سيما العراقيين
حرر في النجف الشريف بقلم احمد الحائف
خادم الشرع الشريف وتعلم
الشيخ محمد الجواهري النوري
بسم الله الرحمن الرحيم
حقق الله آمال الامة الارحوم بالامير هاشم العزيز
محمد تقي الحكيم
بسم الله الرحمن الرحيم
رفع الله لواء العروبة وعلا كلمة الامير ابن الله شريف الفخر
محمد رضا الخالصي الحسيني
بسم الله الرحمن الرحيم
ايد الله فضلكم لخطير الامر والمطلب وبأيد الدين الاوفى
محمد رضا الزبيدي النجفي
بسم الله الرحمن الرحيم
اعان الله محمداً الامة العربية وانجح مقاصدها بالامير هاشم وابنه ملكها المعظم خلد الله ملكه
حرره جعفر ابو التراب الشيخ شبيب
عفى عنه
بسم الله الرحمن الرحيم
من خدام العلم الشريف السيد محمد رضا
آل السيد صادق القزويني
بسم الله الرحمن الرحيم
نسأل الله ان يرفع راية العروبة ويعيد مجدها بركة من ملكها واميرها المعظم خلد الله ملكه
طلبة العلم الشريف عبد اللطيف
الجزائري

برقيا

الى حضرة صاحب السمو امير الجوب فيصل نجله ولي عهد العرب الكبير بن عقيلة ملكه

لقد قدرنا باسمو امير الخطير مواقفكم ان ربيعة الشريف عرض استقلال العرب فقد استدعم بذكر امته الكريم واعلنتم مكانتها في انظار الامم حتى اعترفت مهدئا باستقلالها فكان لجهادكم هذا الجهاد العظيم عن العرب وقع جميل وتأثير كبير جعلت أفيناعن العراقيين حين حققتم آمالنا وصدقتم سابق فراستنا فيكم فقد عولنا عن العراقيين عليكم ووضعنا ثقتنا فيكم وطلبنا ارتغام البكم واخترنا لادارة العراق احد نجال جلالة ملك العرب والكم اعزه الله تعالى وذلك قبل الطلوع على سفوكم الى بارس وقبل ان تعرضوا قضية العرب على مؤتمر الصلح حينما اشير البنا ان نقرر مصيرنا في اوائل ربيع الاول ١٣٣٧ فقد قلنا عزمنا حفظ حياتنا الكفوية حتى الطلب ذلك ووقفنا على ما كرع خطيرة الشان فيه ووقع غيرنا على شفاها في غير جهة من جهات العراق ولها نحن سادات قبائل الشامية ورؤسائها وعشائرها ورؤساء عرب فرات النجف والكوفة نفوض سموكم تقرير رضانا طبقا على تحقيق آمالنا القومية المقدسة ونؤكد لكم توكيدا عاما ان نظل لبوا مؤتمر السلام وجمعية الامم ورؤساء الحكومات المحترم باستقلال بلادنا العراقية العزيزة بحدودها الاصلية من شمال الموصل الى الخليج الفارسي استقلالا تاما، يجوز اعن شائبة الحماية والوصاية تحت اشراف سموكم تستقلم الامير عبد الله بن الملك الحسين ابد الله تعالى ونحن باصاحب السمو الملكي عازمون على تأييدكم اعظم تأييد في ذلك ومصممون على بذل النفس والنفيس والتضحية كل مرخص وغال ونصدق بتوكل بارفعال في نفع السبيل الشريف ونسئل المولى سبحانه ان يجدد بينهم ضائم شباب امتنا الكريمة امين تحريرا في ٥ رمضان سنة ١٣٣٧

من رؤساء آل ابراهيم	رئيس عموم آل ابراهيم	رئيس عشيرة آل زياد	رئيس عشيرة آل زياد	رئيس جيب
عبد آل صفوك	شعلان آل جبر	جرن المرتع	ضيف الخوف	سيد عبد زيد
				الصفوك
	رئيس الخزاعل	رئيس عشيرة الزفاير	رئيس القصير	رئيس عشيرة الزفاير
	آل بسر	عبد الله الحاج	سلمان الطاهر	
	السيد عباس			
	علوان			
	رئيس عشيرة بني حسن			
	عدوان الحاج سعدون			
	محمد العجاج			
	ابو طبيخ			
	محسن السيد حسين			السيد نور السيد عزيز